# المساجد في غرناطة

## (دراسة تاريخية)

## (٩٢هـ/٧١١م - ٨٩٧هـ/١٤٩٢م)

الدكتور صالح بن محمد السنيدي
**قسم التاريخ والحضارة - كلية العلوم الاجتماعية**
**جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾

( سورة التوبة آية ١٨ )

# مدخـــل

بدأت غرناطة تحتل مكانتها منذ بدايات القرن الخامس الهجرى (الحادي عشر الميلادي)، وبعد أن اعتمدها الزيريون عاصمة ومستقرا لهم[١]، حيث نمت وازدهرت وتقاطر عليها الناس لسكناها والاستقرار بها؛ ثم أخذت دورها كأهم المدن الأندلسية واحدة تلو الأخرى، وأصبحت معقل المسلمين ومحط أنظارهم في شتى مدن وقرى الأندلس التي تنتظر نفس المصير، فتوافدوا عليها واستقروا بها، وبرزت كأهم الحواضر الإسلامية والأوربية، وأكثرها ازدحاما بالسكان[٢]؛ لكن الحملة الصليبية التي وضعت نصب عينيها اجتثاث ما تبقى من وجود إسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية، فيما عرف بحروب «الاسترداد الإسبانية» La Reconquista جعلت غرناطة في بؤرة اهتمامها وتركيزها، مما أجبر هذه المدينة على تسليم نفسها لعدوها الآخذ بتلابيبها، معلنة عن سقوط آخر معقل إسلامي في إسبانيا بعد صمود طويل وكفاح مستميت، ويأس من نصرة إخوة الدين والمعتقد.

خسرت غرناطة الإسلامية نفسها وخسر معها العالم الإسلامي موقعا استراتيجيا مهما في أوربا، وفقدت الحضارة الإسلامية والإنسانية كنزاً لا يقدر بثمن، هو عصارة الفكر الأندلسي، الذي تطاولت إليه أيادي أولئك المتحجرين بالحرق والإتلاف.

وقد قدّر لى أن أتعرف على هذه المدينة التاريخية عن كثب، وحينما كنت طالبا في جامعتها، مكثت فيها عددا من السنين، متقلبا بين مرابعها وأزقتها أجتّر ذكريات الماضي، وأردد مع شاعرنا الكبير أبو العلا المعري: «صاح هذي قبورنا تملأ الرحب»؛ وفي برنامج؛ الدكتوراه بنفس الجامعة كلفني أحد الأساتذة بإعداد بحث موجز حول «مساجد غرناطة الإسلامية»[٣]،

وعلى الرغم من تواضع هذا البحث الذي أعدّ على عجل، إلا أنه فتح عيني على موضع جدير بالدراسة وإعادة النظر فيه، ليس لقلة ما كتب فيه بشكل عام وبالعربية بشكل أخص فقط، بل لأهمية هذا الجانب في حياةالمسلمين ووجودهم في الأندلس، ومع ذلك فلم يجد العناية الكافية لدى الباحثين العرب، ولا الاهتمام والوصف لدى مؤرخينا وكتابنا القدامى؛ لذا فقد عدت إليه بعد أن وجدت الفرصة المناسبة، فأعدت كتابته من جديد محاولا قدر الإمكان أن أحصر كل ما يتعلق بهذا الموضوع من مادة علمية تناثرت أشلاؤها بين دفات المصادر المتعددة.

ومعلوماتنا حول هذا الموضوع تعتمد بشكل رئيسي على تلك النتف من الأخبار التي وردت عرضا في بعض المصادر وكتب النوازل الإسلامية، خاصة فيما يتعلق بأحكام المساجد ونوازلها، ونتف يسيرة في تاريخ المساجد والأوقاف، أما في التفصيلات العمرانية الدقيقة ونحوها، فقد استمدت مادتها بشكل أساسي من المصادر والمراجع الإسبانية، إذ تشكل كتب الأوقاف والتقارير الكنسية، وما كتب في شأن الكنائس الغرناطية، ثم البحوث التي كتبت حول جغرافية المدينة وأسماء أماكنها وكذلك التواريخ المحلية مصدرا مهما لهذا الموضوع[٤]، ويعود الفضل في ذلك إلى جهود عدد من الباحثين المتأخرين الذين بحثوا ونقبوا في الآثار فسجلوا مشاهداتهم محاولين تدارك هذا النقص وسدّ تلك الفجوة، ويأتي على رأس هؤلاء عدد من المؤرخين والأثريين الإسبان الذين وقفوا بحوثهم لخدمة هذه الجوانب من أمثال توريّس بالباس ومورينو وغيرهم، كما نشيد بدور من سار على نهجهم واستفاد من جهودهم من الباحثين العرب، وإن كانت الدراسات العربية في هذا الجانب ما تزال محدودة.

## غــرنــاطـــة الإســلاميـة

### ١ ـ المدينة والتاريخ :

تقع غرناطة في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة الأيبيرية، وتشكل هذه المدينة أهمية خاصة لا في التاريخ الإسلامي وحده وإنما في التاريخ الإسباني أيضا، إذ أصبحت رمز الصمود والتحدي في ذلك الوسط النصراني الذي أحاط بها إحاطة السوار بالمعصم، وظلت قلعة المسلمين الحصينة حتى سقوطها بعد جهود مضنية بذلتها القوى النصرانية المتحالفة والمدعومة من أوربا ماديا ومعنويا.

فتح المسلمون هذه المدينة في موجة فتوحهم الأولى، إذ أرسل القائد طارق بن زياد بعد انتصاره الكبير في موقعه (وادي لكة) الفاصلة فرقة عسكرية، تمكنت من فتحها وإدخالها في حوزة المسلمين[٥]، ثم تقاطر عليها المسلمون، فأصبحت إحدى الأقاليم الإسلامية ذات الأهمية: الإستراتيجية لموقعها المتميز، والاقتصادية لمواردها الغنية بخيراتها، بالإضافة لعوامل أخرى لها أهميتها في الجذب السكاني.

في هذا الوقت المبكر لم تكن غرناطة إلا بلدة صغيرة تقبع خلف مدينة ألبيرة التي أصبحت حاضرة الإقليم، وقد تعاقبت عليها الفترات التاريخية التي مرّ بها الأندلس، فبعد مرحلة الفتح والاستقرار، كان عصر الولاة ونالها في هذه الفترة نصيبها من الاضطراب والحروب الأهلية المدمرة تلك التي كاد المجتمع الإسلامي الأندلسي أن يغرق في حممها ويحترق بلهيبها؛ ولما قامت الدولة الأموية كانت غرناطة مدينة صغيرة تحبو في مراحل التطور والنمو، فعاشت في أكناف هذه الدولة حتى أطل عصر الطوائف الذي

شهدت فيه عصرها الذهبي، بعدما اختارها زاوي بن زيري الصنهاجي لأسباب سياسية واستراتيجية عسكرية، لتكون عاصمة لولايته[٦] فعمّرها وزاد في بنائها حتى اجتذبت الناس إليها، وبدأت شهرتها تزداد لتنافس المدن الأندلسية الكبرى، بعد أن حلت محل مدينة ألبيرة وأصبحت هذه الأخيرة إحدى توابعها خاصة وقد لحقها الخراب والدمار.

وعندما قرر يوسف بن تاشفين - زعيم المرابطين - ضم الأندلس إلى حكمه المباشر، ابتدأ بغرناطة نظرا لأهميتها في الصراع الإسلامي النصراني من جهة، ولضعف حاكمها ومداهنته للنصارى من جهة أخرى[٧]؛ على أنها ظلت تلعب دورا بارزا ومؤثرا في الأحداث لا في العصر وحده بل في فترة الموحدين الذين تولوا أمور الأندلس بعد المرابطين.

في سنة ٦٣٥ هـ دخلت هذه المدينة في حوزة بني نصر تلك الأسرة التي عرفت ببني الأحمر أيضا، والتي يتصل نسبها بالصحابي الجليل سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري - رضي الله عنه -، ظلت هذه الأسرة تتناوب حكم هذه المدينة وتوابعها وتقاوم جموع النصارى قرابة ٢٥٠ سنة، على الرغم من تخاذل المسلمين عن إمدادها والوقوف إلى جانبها، وتكالب الأعداء عليها من كل جهة؛ فصارت موئلا للمسلمين الذين تقاطروا عليها من كل جهات الأندلس المتعددة بعد سقوط معاقلهم الواحدة تلو الأخرى.

وعلى الرغم من أجواء الصراع والحرب التي عاشتها غرناطة في هذه الفترة إلا أنها شهدت سنوات من الإستقرار والرخاء، مكنتها من الالتفات لنفسها وترتيب أمورها، فأفرزت لنا حصيلة طيبة من العلوم في شتى أصناف العلوم والحضارة وظهرت بصمات ذلك واضحة فيما تركته من رصيد ثقافي تشهد مكتباتنا بغزارته ووفرة مادته؛ يضاف إلى ذلك تلك الشواهد

المعمارية التي تعتبر آية في فن المعمار الإسلامي ظلت شاهدة على ما سطرته أيادي المبدعين المسلمين، خاصة في قصر الحمراء الذي بقي لنا وما زال يقاوم الخطوب وعوامل الطبيعة القاسية، والذي يعد معلما من معالم إسبانيا الحديثة[٨].

ظلت غرناطة في صراعها المرير مع النصارى، وسجلت أروع آيات البطولة والفداء، حتى أطلت الدسائس والخلافات وتسللت إلى البيت الحاكم نفسه فأصبحت معول هدم للتماسك والترابط الإسلامي في هذه البقعة الصغيرة التي بقيت للمسلمين في شبه الجزيرة، وائدة كل أمل للمسلمين في مواصلة الصمود والبقاء، حتى أعلن عن سقوط المدينة في أيدي النصارى سنة ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م، وخرج آخر ملوك بني الأحمر من غرناطة يجر أذيال الخيبة والهزيمة، مكللا بالعار، باحثا عن مأوى له ولأسرته، ومن تلة مشرفة على المدينة أطل إطلالته الأخيرة مجترا ذكرياته وساكبا عبراته، وتسمّر في موقفه هذا حتى أيقظته كلمات أمه الموجعة: «ابك ملكا مضاعا ـ لم تحافظ عليه ـ مثل النساء»[٩].

كان سقوط غرناطة إيذانا بابتداء مرحلة أشد بؤسا وشقاء للمسلمين الذين ظلوا تحت رحمة ملكي إسبانيا الكاثوليكيين المتعصبين فرناندو Fernando وإيزابيلا Isabella اللذين نكثا بكل العهود والمواثيق التي قطعاها على نفسيهما للمسلمين، إذ بعد أربع سنوات فقط من دخول المدينة في حوزتهما، أعلن عن مخطط جديد لتنصير المسلمين وتحويل غرناطة الإسلامية إلى مدينة نصرانية، ومع محاولات المسلمين المستميتة ومقاومتهم لهذه الإجراءات التعسفية واستخدامهم لكل الوسائل للتعبير عن رفضهم لذلك طيلة قرنين من الزمن، تلقوا خلالها صنوفا من أنواع التضييق

والمطاردة والتعذيب الوحشي، يعجز الوصف عن تصويره والإحاطة به[١٠]؛ إلا أن محـاولاتهم باءت بالفشل، فطرد من بقي من هؤلاء إلى البلاد الإسلامية أو غيرها في ظروف مزرية لم يشهد التاريخ لها مثيلا إلا فيما حدث أخيرا لمسلمي البوسنة والهرسك.

## ٢ ـ مخطط المدينة العمراني

إن المتتبع للمخطط التفصيلي لمدينة غرناطة الإسلامية[١١]، يخرج بعدة ملحوظات أهمها: تناثر أحياء المدينة واتساعها وعدم ترابطها مثلما نجد ذلك في المدن الإسلامية الأخرى التي شيدها المسلمون ابتداء، ففي غرناطة أنشأوا أحياء جديدة بعد أن كانت بلدة صغيرة تقطنها جماعات من اليهود وقلة من المسلمين والنصارى[١٢]، وبنوا الحصون والقلاع والأسوار، وحاولوا ربط المدينة ببعضها وإعطائها صبغة المدينة الإسلامية[١٣]، لكن طبيعتها الجغرافية كانت عاملا من عوامل أخذ المدينة شكلها الأفقي، على ضفاف جبال سييرا نيفادا أو جبال الثلج كما يسميها الجغرافيون العرب حيث لا تفارق قممها الثلوج إلا فترة محدودة من السنة، إذ تمتد ابتداء من الشمال الشرقي وحتى الجنوب الغربي حيث الهضبة المرتفعة التي تحتضن قصور الحمراء ومنتزهاتها مقر الأسرة الحاكمة من بني الأحمر ورجالاتها، يحاذيها ويلتصق بها قسمها الآخر الذي يأخذ نفس الاتجاه ممتدا في أرض منبسطة ومنتهيا بواد في طرفه الغربي؛ كما تظللها الآكام العالية من جهة الشرق وكذلك الجنوب الشرقي والشمال الشرقي يمر بها نهر شنيل Genil بينما يخترقها نهر هدارة[١٤]Darro في وسطها حتى يلتقي بشنيل.

ويقع حيها الرئيسي في الفترة الإسلامية المتأخرة والمعروف بـ «البيازين» فوق تلة مشرفة على باقي المدينة[١٥] تعلوها قصور الحمراء في

الجهة المقابلة، وتتناثر على أطرافها أحياء صغيره مثل الروضة وألبيرة والبيضاء. . . ويليه من جهة الجنوب الأحياء التي كانت مركز البلد ومقر الحكومات المتعاقبة قبل بني الأحمر كالعقبة القديمة والجديدة، أما الحي الذي يشكل مركز البلد وثقله في عهد بني الأحمر فهو ربض «الرملة» الذي كان سهلا منبسطا امتدت إليه المدينة بعد التوسع الذي شهدته أيام الزيريين في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، وفيه يقع الجامع الكبير ومرافق البلد التجارية والحيوية؛ ويجاور الحمراء من الجنوب ربض السبيكة ويمتد حتى يلتقي بأحياء أقل أهمية مثل حي نجد وحي اليهود والفخارين ونحوها، ذات الأقلية السكانية.

على أن دراسة طبوغرافية المدينة تختلف من فترة لأخرى، فلا شك أن غرناطة الزيريين لم تكن في حجمها أيام المرابطين والموحدين، وكذا الحال أيام بني الأحمر بعد أن تقاطرت عليها عشرات الألوف من المسلمين الذين هجّروا قسرا بعد أن سلبت ديارهم، فلم يجدوا أمامهم كملجأ أخير سوى غرناطة الإسلامية.

وقد توقفنا قليلا عند خريطة هذه المدينة التقريبية بأسوارها وأبوابها وتفصيلاتها الأخرى، لنضع القارئ في صورة يسهل معها تصور مواقع الأحياء وتناثر المساجد في أزقتها وأرجائها، ومع أن سيكو دي لوثينا قد اجتهد كثيراً في الوصول إلى مخططها الحقيقي إلا أنه وقع في بعض الأخطاء خاصةً قراءة الأسماء العربية التي احتاج بعضها إلى إعادة النظر والتعديل.

(انظر المخطط المرفق)



شارع شعبي في حي البيازين وبقايا مئذنة مسجد . ( فون شاك : الفن العربي في إسبانيا ص ١٣٥ ) .

## المسجد الغرناطي

## صور وملامح

يعد المسجد من أهم ركائز الإسلام الأساسية، لذا حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على تأكيد ذلك فور وصوله إلى المدينة المنوّرة، فاقتدى به الفاتحون المسلمون عند دخول أي بلاد جديدة، فكانت أول مبادرة يقومون بها هي تشييد المساجد لتكون مرتكزا للدعوة الإسلامية في تلك البلاد الجديدة، وقد تواردت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تعظم المساجد وتشيد بفضل بناتها والقائمين عليها، كما تؤكد على حرمتها وأهميتها في الإسلام[١٦].

عندما فتح المسلمون إسبانيا ودخلوا شبه الجزيرة الأيبيريه، لم تغب عن بالهم هذه الحقيقة، فكان مسجد الرايات الذي شيدوه في الجزيرة الخضراء - بوابة إسبانيا الجنوبية - بعد وصولهم مباشرة[١٧]، أول ترجمة عملية لهذا الشعور، فعمل موسى بن نصير على تأسيسه وبنائه ثم جعله ملتقى له ولقادة سراياه[١٨].

وبعد أن أصبحت إسبانيا تحت حكم المسلمين، اجتهدوا منذ البداية بتحويلها إلى الإسلام، أو على الأقل صبغها بالصبغة الإسلامية حتى يحين الوقت المناسب لاقتناع سكان هذه البلاد بالدين الجديد ومن ثم تحولهم إلى دين الفاتحين، و ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٦][١٩]، وسرعان ما حدث هذا التحول، ومعه أصبحت حواضر الأندلس مدنا إسلامية في مظاهرها ومعالمها وإن تطلب ذلك فترة ليست بالطويلة من الزمن.

حرص الفاتحون المسلمون على تشييد المساجد بكل مدينة وقرية

وصلوا إليها ليكون منطلقا لجهادهم المادي والمعنوي في البلاد الجديدة، وليصبح معبدا ومعهدا ومنبرا يعكس طبيعة الجامعة للدين والدنيا[٢٠] وقد تم بناء المساجد وتشييدها في الأندلس، إما بتأسيسها ابتداء على أرض فضاء، أو نزع ملكيتها بالشراء إذا كانت مأهولة، مثلما كان الحال في مسجد قرطبة الذي ابتاعه المسلمون من النصارى بعد أن كان كنيسة، فحولوها إلى مسجد بإشراف التابعي الجليل حنش الصنعاني وأبو عبدالرحمن الحبلي[٢١]؛ فبالإضافة إلى مسجد قرطبة الذي يعد رمزا شامخا ـ ومازال ـ للعمارة الإسلامية في الغرب الإسلامي، قامت مساجد متعددة هنا وهناك أشادت المصادر ببعضها وسكتت عن أغلبها، فعلى الرغم من الآثار الدالة على كثرتها وتوزعها على مراكز العمران الأندلسية[٢٢] ويكفي أن نشير إلى أن تعداد المساجد في مدينة قرطبة وحدها ودون قراها، قد بلغ حوالي الخمسمائة مسجد[٢٣]، إلا أن المادة التي تركها لنا مؤرخونا تعد محدودة جدا إذا ما قارناها بما سطروه في المجالات المختلفة، فالأندلسي الذي كان يجهل اسم المهندس المعماري الذي أنشأ محراب جامع قرطبة، لا يجهل صاحب بيت هزيل لم ينس الأدباء نسبته إلى صاحبه، بينما تجاهلوا ـ في الوقت نفسه ـ من هم وراء مثل تلك الأعمال الخالدة[٢٤].

وقد حظيت غرناطة كغيرها من المدن الإسلامية بنصيب وافر من المساجد، أولتها عنايتها واهتمامها، منذ أن تحولت إلى مدينة إسلامية، وقد تجلى ذلك بوضوح فى القرن الخامس الهجرى (الحادي عشر الميلادي)، عندما حولها الزيريون إلى عاصمة إقليمية كبرى، أصبحت هدفا يؤم من قبل أعداد كبيرة، وصاحب ذلك حركة عمرانية نشطة، ثم ما أولاه المرابطون والموحدون لهذه المدينة من اهتمام وعناية في هذا المضمار، كان للمساجد نصيبها من كل ذلك؛ لكن المدينة بلغت أوجها وعظمتها أيام بني نصر، بعد

أن أصبحت موئل مسلمي الأندلس، الذين قصدوها طلبا للأمن والسلامة عندما بدأت تتهاوى معاقلهم الواحدة تلو الأخرى، في هذه الفترة تكاثرت المساجد بما يتناسب وهذه الأعداد الكبيرة التي استقرت في غرناطة وأرباضها، كما ظهر فيها الصراع الديني على أشده بين المعسكرين، فالمسجد رمز الإسلام والمسلمين، بينما الكنيسة رمز النصرانية وأهلها، ولهذا تمسك كلا الطرفين برمزيهما وتعهداهما بالرعاية الزيادة، وهذا ما سنراه واضحا بعد سقوط المدينة[٢٥]. وليس معنى ذلك أن هذه المدينة لم تشهد اهتماما بهذه الناحية قبل هذه الفترة، فهناك دلائل تشير إلى الاهتمام المبكر بهذه المنطقة من ناحية العمارة الدينية، فعلى سبيل المثال تشير الروايات إلى أن التابعي الجليل حنش الصنعاني شيّد مسجد ألبيرة[٢٦] ولا نعدم الإشارات التي وإن كانت ضئيلة إلا أنها تدل على مواكبة هذا الإقليم لبقية إسبانيا الإسلامية في هذه الناحية.

وقد اهتم الغرناطيون ـ على الصعيد الشعبي ـ كغيرهم من المسلمين بتشييد المساجد والعناية بها، يؤكد هذه الحقيقة الأمير عبدالله بن زيري، فيذكر تنافسهم في بناء المساجد والإكثار منها حتى «إن الرجل منهم ليتخذ بإزاء داره مسجدا وحماما[٢٧] وإن كان ذلك لظروف سياسية قلقة عاشتها هذه المدينة[٢٨]، كما يصف ابن الخطيب هذه المدينة ـ أيضا ـ بأنها: ذات» المساجد العتيقة[٢٩].

ومع ذلك فإن معلوماتنا تظل محدودة حول هذا الموضوع في ظل صمت المصادر الإسلامية واندثار المساجد الغرناطية ما عدا أجزاء لا يعول عليها كثيرا في مسجد الحمراء ومساجد قليلة أخرى[٣٠]، تعرضت للتشويه والتدخل من قبل النصارى الإسبان بعد الاستيلاء عليها، وما عدا مسجد

الحمراء فلا نعرف عنها إلا القليل من الإشارات المحدودة حول عمليات ترميم أو صيانة أو زيادات جزئية . لكن هناك بعضاً من الدراسات الإسبانية حاولت أن تطرق الموضوع بجرأة، معتمدة على كتب الأوقاف الكنسية وغيرها من الوثائق التي توصلوا إليها ويفتقدها القارئ العربي كما ذكرنا سابقا، وهي التي سنحاول الإستفادة منها في إعداد هذا الموضوع مع ما يتوفر لنا من مادة جادت بها المصادر والمراجع العربية .

## ١ ـ الأرض والعمارة :

تبقى مساجد غرناطة في غالبيتها العظمى قد أنشئت ابتداء، فلم نجد ما يشير إلى أن أصول أي منها كان كنيسة أو نحوها، اللهم إلا إشارات لا يعول عليها كثيرا لعدم ثبوتها بالدليل القاطع [٣١] وهذه ميزة اختلفت بها هذه المدينة عن باقي المدن الأندلسية ويعود هذا ـ كما لا يخفى ـ إلى أن المسلمين تركوا المدينة العتيقة على حالها وأنشأوا مساجدهم في أطرافها بعد أن زادوا في بنائها وأقاموا الأحياء الجديدة المتعددة من حولها، أما في القديمة فقد شيدوها إما في أرض فضاء أو على أطلال معبد أو منزل قديم هجره أصحابه، والمسألة هنا لاتخلوا من تفاوت في وجهات النظر بين الباحثين الأجانب أنفسهم، فبينما نجد الحقيقة لدى ديورانت الذي يؤكد أن المسلمين لم يسمحوا لأنفسهم بعد انتصارهم من استباحة أماكن عبادة خصومهم، وتشييد مساجدهم على أرضها بعد هدمها أو تحويرها مثلما فعل النصارى بعد انتصارهم [٣٢]، في المقابل نجد رأيا آخر على النقيض من ذلك، يؤكد على أن غالبية المساجد الأندلسية تعود في أصلها إلى كنائس حولت بعد الفتح الإسلامي لإسبانيا [٣٣]؛ والحقيقة التي لاتقبل الجدل أن هذا الفريق جانب الصواب وتجنى على الواقع الذي أثبته التاريخ على الأقل في مدينة

غرناطة.

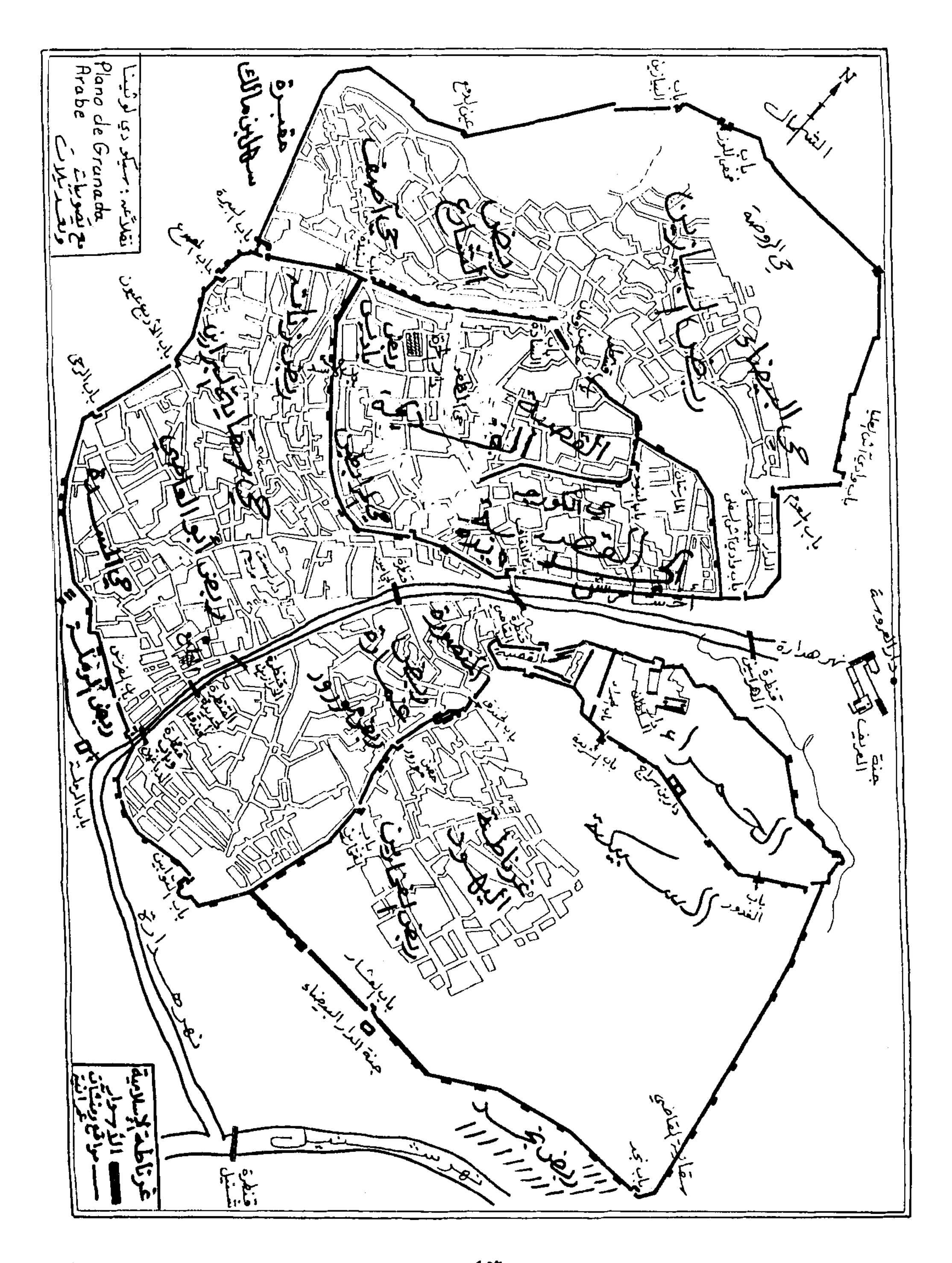
وتتعدد الجهات التي تتولى بناء المساجد والمحافظة عليها بين رسمية وشعبية، إذ تشير المصادر إلى تلك الجهات الرسمية ممثلة في الدولة نفسها التي اهتمت ببناء المساجد في أنحاء الأندلس منذ الفتح وحتى أيام الأمويين الذين أولوا هذه الناحية جل اهتمامهم وعنايتهم، حيث حرصوا على تشييدها في عموم الأندلس[٣٤]، ولا شك أن هذا الاهتمام أخذ طابعا خاصا في عصر الطوائف حيث كانت المنافسة على أشدها بين أمراء هذه الفترة في شتى الميادين ومن ضمنها الإنشاءات المعمارية التي تدخل المساجد في نطاقها، أما المرابطون والموحدون فجهودهم لاتنكر في هذا المجال، فعند دراسة تاريخ المعمار في الأندلس نجد اهتماما كبيرا لدى هؤلاء تجلى بوضوح في إنشاء المساجد وترميمها سواء في المغرب أو في الأندلس[٣٥]، ويظهر ذلك جليا لدى المرابطين خاصة، الذين أبدوا عناية واهتماما بهذه المدينة وترجموا ذلك بعدة إنشاءات متميزة سواء على الصعيد المدني أو الديني[٣٦]؛ أما في عهد بني الأحمر فمع أنه يغلب على إنشاءاتهم الطابع المدني من قصور وغيرها، فقد اقتضت الحاجة الزيادة في بناء المساجد وذلك لدواعي تزايد السكان الذين تقاطروا على غرناطة وتوابعها بعد سقوط مدنهم في أيدي النصارى، وتسجل المصادر قيامهم ببناء مسجد الحمراء، وترميم مسجد غرناطة الأعظم[٣٧].

أما الجهات الشعبية فكانت مساهماتها في بناء وترميم المساجد واضحة، حيث أسهبت كتب النوازل في الإشادة بهذا الدور، وتطرقت إلى هذا القطاع في صيانة المساجد والمشاركة فيما يفيدها، بتحبيس الأوقاف المتعددة والمتنوعة لهذا الغرض، وسنتوقف عند ذلك بعد قليل إن شاء الله.

## ٢ ـ المساجد ومواد البناء :

المواد المستخدمة في بناء المساجد الغرناطية لا تخرج عما هو مستخدم في الأندلس بشكل عام، ويأتي على رأسها المواد المحلية التي شرح لنا ابن خلدون في فصل من مقدمته، أنواعها وطريقة خلطها وتركيبها[٣٨]؛ لكن هناك عنصر آخر دخل في بناء بعض المساجد خاصة الكبيرة منها، وهو الاستفادة من أنقاض المباني المهدمة، مثلما هو الحال في مسجد قرطبة عند الشروع في بنائه[٣٩]، وفي غرناطة تمت الاستفادة من بقايا قصور قرطبة المهدمة للزيادة في بناء مسجدها الأعظم في عهد المرابطين[٤٠]، ومما لا شك فيه أن تطور البناء والتفنن في أساليبه، تتطلب البحث عن مصادر أخرى زيادة على الموارد المحلية خاصة في عهد بني نصر، يتجلى ذلك واضحا في مسجدهم بالحمراء .

ويشكل الملاط المكون من مواد شديدة الصلابة الأساس الذي تقوم عليه المباني في غرناطة، وهو النظام الذي حل محل الكتل الحجرية الكلاسيكية التي عرفت في عهد الخلافة الأموية[٤١]، أما العقود والقباب فقد كان الآجر مع الملاط الجيري هما مادته الأساسية في الغالب؛ على أن الفترة المبكرة من تاريخ هذه المدينة ـ بعد اعتمادها كعاصمة من قبل بني زيري ـ لم تتوفر فيها الإمكانيات المادية ولا العمال المهرة لنحت الأعمدة من الحجر أو المرمر، ولذا استخدمت الأخشاب كحوامل بدلا من الأعمدة الحجرية التي حلت محله فيما بعد، كما كان السقف هو الآخر من الخشب الناعم، وهو ما أكدته الشواهد الأثرية والوثائق التاريخية[٤٢]. على أن القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) شهد تحولا عن استخدام الأعمدة الحجرية إلى تلك المشيدة بالآجر[٤٣].



Plano de Granada
Arabe

## ٣ـ عرفاء البناء :

أما عرفاء البناء ومهندسوه الذين قاموا بعمليات الإنشاء أو الترميم، فمع ما قام به هؤلاء في الأندلس عامة وفي غرناطة بشكل خاص من أعمال متميزة، تجلت فيها المقدرة الفنية الرائعة، بعد أن أضفوا عليها الطابع الإسلامي الذي أصبح علامة مميزة في كل ما شيدوه، وانعكس ذلك بوضوح على ما أنجزوه من منشآت دينية أو مدنية أو عسكرية[٤٤]؛ مع كل ذلك لم يحظوا بالاهتمام والتنويه كغيرهم، من قبل كتاب التراجم أو الحوليات، إلا أننا لم نعدم إشارات باهتة تعطي ولو صورة رمزية لتلك الشريحة، فمثلا: تشير إحدى الروايات التي ساقها ابن الخطيب إلى عبدالرحمن بن مالك المعافري الذي توفي سنة ٥١٨ هـ/ ١١٢٤م كأحد المهندسين الذين تولوا الزيادة والتحسين في مسجد غرناطة الأعظم وقام ببناء وتشييد حمام هذا الجامع، ثم وجهه الأمير المرابطي علي بن يوسف للقيام بأعمال عمرانية أخرى في كل من مدينة طرطوش واشبيلية[٤٥] وفي وقت سابق وبالتحديد في شهر ربيع الأول من سنة ٤٤٧ هـ الموافق لشهر يونية من سنة ١٠٥٥م، نجد باديس بن حبوس الصنهاجي أمير غرناطة يسند إلى قاضي هذه المدينة علي بن محمد بن توبة مهمة عمل منبر لجامعها، فيقوم به على أحسن وجه، وأهم من ذلك بناؤه مسجدا في حي المنصورة أطلق عليه اسمه في بعض الأحيان، كما قام بإنشاء جسر يربط أحياء المدينة ببعضها على نهر هدارة عرف بقنطرة القاضي نسبة إليه[٤٦].

## ٤ـ الملامح الفنية والعمرانية :

الحديث في الفن المعماري الأندلسي له خصوصياته، فهو يختلف من فترة لأخرى ومن مكان لآخر في بعض تفصيلاته الدقيقة وإن اشترك في

عمومياته مع الطراز المعماري الإسلامي العام؛ ومع أن بدايات هذا الفن قد ولدت مع وصول الفاتحين المسلمين إلى إسبانيا، إلا أنه يمكن القول بأن أصول هذا **«الطراز الأندلسي»** المتميز قد غرست مع بدايات الدولة الأموية ثم ترعرعت ونمت إبان عصر الخلافة، لكنها آتت أكلها أيام المرابطين والموحدين ولم يكن عصر بني الأحمر في غرناطة إلا تتويجا لذلك الطراز الذي اكتمل وأصبح فناً زخرفيا بحتا[٤٧].

ومع تأكيد أغلب الباحثين على قلة اهتمام ملوك الطوائف بالعمارة الدينية، وتركيز جهودهم على العمارة المدنية من قصور وغيرها، أو العسكرية من قلاع وحصون وأسوار، الحدّ الذي دفع الباحث الإسباني الرزين بالباس Balbas إلى أن يصمهم بالبخل وتكديس الأموال التي استغلها المرابطون فيما بعد، ويؤكد على أنهم لم يهتموا إلا بتشييد سور متين أو قلعة حصينة تحميهم من غارات أعدائهم[٤٨]؛ إلا أن الشواهد توحي بعكس ذلك خاصة في غرناطة التي شهدت نشاطا ملحوظا في هذا الجانب إذ واكب ذلك تأسيس أحياء ومراكز جديدة، فكان للمساجد نصيبها الواضح في هذا المجال، وهو ما يفرضه الواقع الديني لسكانها المسلمين.

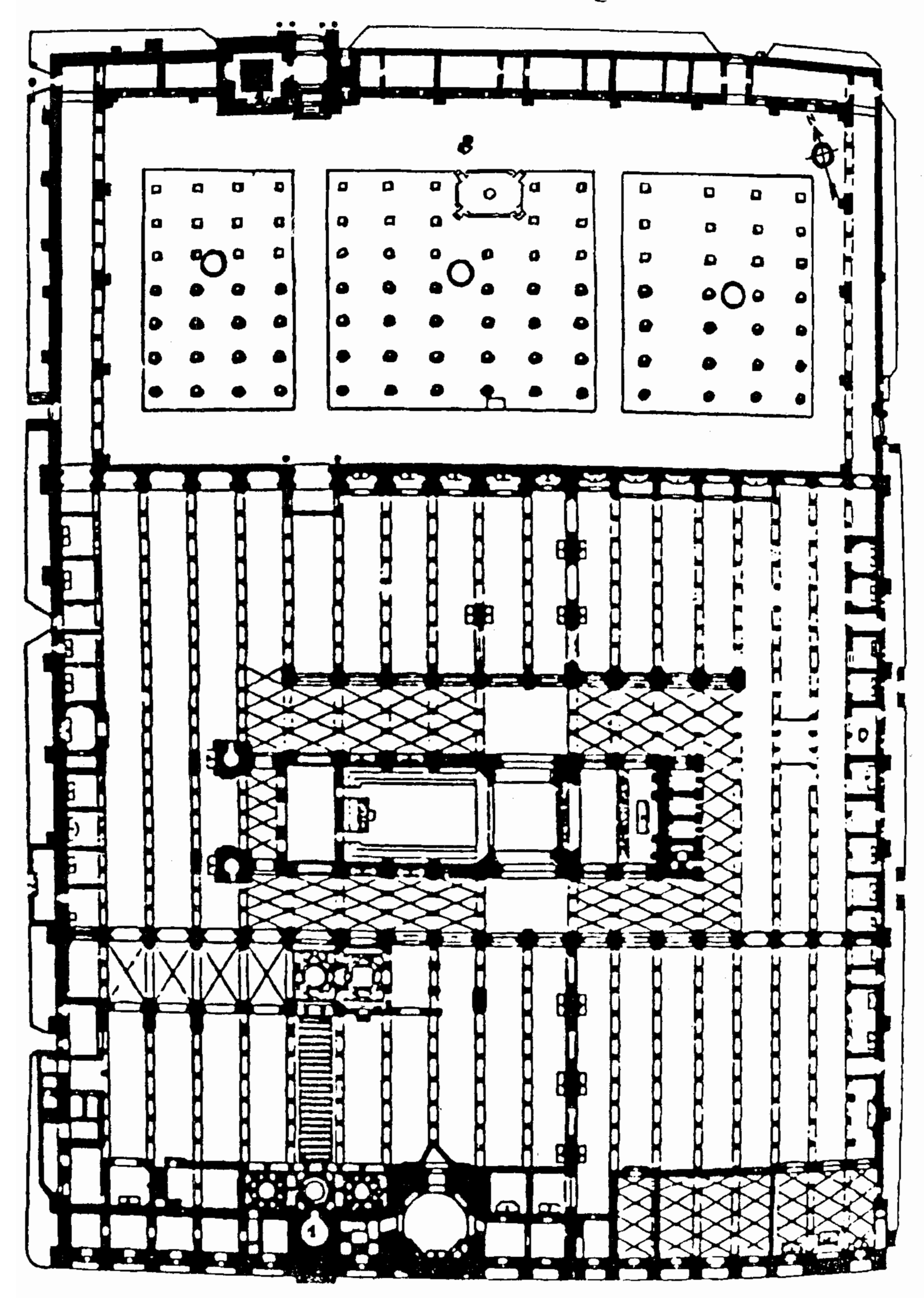
ومع وجود شواهد ما زالت قائمة، يمكن من خلالها إعطاء حكم أو انطباع معين عن الفن المعمارى في غرناطة بصفة خاصة، والذي يدخل في نطاقه ضمنا بناء المساجد، فيمكن القول أن هذا الفن قد اكتسب مع الزمن صبغة خاصة به، حقّ لنا أن نطلق عليه «الفن الغرناطي» ذا الملامح المتميزة، الذي اكتملت عناصره في العهد النصري، والذي تتضح معالمه في الإسراف بإسقاط الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، بالإضافة إلى الأمثال والأشعار، مع الاهتمام بالزخارف الفنية الأخرى بنقشها إما على

الحيطان والسقوف وفوق الأبواب أو في الأمكنة المعروضة للنظر(٤٩) ومع أنها تكسب البناء رونقا وجمالا إلا أنها في المسجد لها أثرها في إشغال المسلم عن صلاته وإلهائه عن خشوعه فيها، كما أن ذلك مدعاة للمباهاة والمفاخرة، ولذا كان للفقهاء تدخلهم في هذا المجال(٥٠)؛ بذلك تحولت عمارة المساجد عن طبيعتها التي كانت عليها أيام المرابطين والموحدين من بساطة المعمار وعدم إغراقه بالأشياء الثانوية من زينة وزخرفة ونحوها إلى ما يشبه القصور في زخارفها وتنميقها(٥١) ومع ذلك لم تصل الحال إلى حد المبالغة أو الخروج عن نقش آيات كريمة أو أدعية وأحاديث شريفة وما شابهها، تكشفت معالمها فيما تبقى من آثار كانت قد طمست بالجبس في عصور الظلام، فظهرت بعد إزالته وتم الكشف عن محتوياتها(٥٢).

وفي هذا الصدد نحب الإشارة إلى تأثيرات مسجد قرطبة على العمارة الإسلامية في الأندلس، والذي استحق لقب «الأستاذ» للمساجد التي أقيمت في العصور التالية بالأندلس، فمنه أخذت نظام القباب ذات الضلوع، ومنه اشتقت نظام البلاطات المتجهة عموديا على جدار القبلة، ومن تخطيطه استفادت في وضع مخططاتها(٥٣).

كما نشير إلى تأثّر المعمار الديني والمدني في إسبانيا النصرانية بالفن المعماري الأندلسي وهي قضية ناقشها عدد من الباحثين، ويكفي أن نذكر هنا استفادة الكنائس من مباني المساجد بعد الاستيلاء عليها، إذ حولت إلى معابد نصرانية مع تحوير طفيف في بعض أجزائها، وقد حاولنا الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن المساجد نفسها في البحث الذي نحن بصدد إعداده؛ وتظهر هذه الاستفادة جلية في المآذن الإسلامية التي حولت بعد السقوط إلى أبراج لنواقيس الكنائس، ولم يتطلب ذلك إلا تحويرا طفيفا تمثل في هدم

مخطط جامع قرطبة الكبير ( حسين مؤنس : المساجد ص ٣٦٩ )



الحجرة الصغيرة التي تعلو الشرفة وإضافة جزء أعلى للأجراس(٥٤)، فمع تلك التحويرات التي مرت بها هذه المنارات الإسلامية إلا أنه أمكن تحديد بعض منها وإرجاعها إلى أصلها الإسلامي، فعدا تلك المشتهرة بين العامة والخاصة مثل الخيرالدا أو الدوارة LaGiralda (٥٥) ومئذنة جامع قرطبة ونحوها، استطاع الباحثون في فن المعمار الإسلامي التعرف على عدد منه، مثلما هو الحال في مئذنة مسجد المرابطين الغرناطي الذي نجح بالباس في تحديد هويتها وانتمائها المعماري، بعد أن أزال الغطاء الذي يغطي جدرانها الحجرية، بينما كان يُظن أنها إسبانية الأصل قبل ذلك(٥٦).

وهناك ميزة انفردت بها المساجد الأندلسية عن نظيراتها المشرقية - ما عدا الأقصى - تتمثل في أن صفوف العقود التي تفصل بين الأروقة تقام عمودية على حائط القبلة الذي يوجد فيه المحراب، حيث المألوف أن تكون صفوف العقود متوازية مع الحائط المذكور(٥٧).

### ٥ - المظهر العام للمساجد:

الحديث في هذا الموضوع قد يكون مكرورا، إذ لا تختلف مساجد الأندلس عن المساجد الأخرى في تفصيلاتها الرئيسية كثيرا، اللهم إلا في بعض الجزئيات المحدودة، وقد كفانا عدد من الباحثين مؤنة ذلك(٥٨)، لكنّي سأتوقف قليلا عند بعض أساسيات المسجد الأندلسي بشكل عام، تاركا التفاصيل الدقيقة لمكانها عند الحديث عن كل مسجد على حدة.

أول ما نلاحظه في المسجد الغرناطي بشكل عام هو انقسامه إلى جزئين رئيسيين:

أولاهما: الصحن ويمثله الجزء غير المسقوف من المسجد، وفي غالب الأحوال يكون محاطا بسور ذي أروقة أو رواق حسب حجم المسجد

وسعته، مثلما هو الحال في مسجد قرطبة الكبير، وقد يكون محاطا بسور مجرد خاصة في المساجد الصغيرة؛ وتشير الدلائل إلى خلو بعض المساجد الغرناطية من الصحون خاصة تلك الصغيرة في حجمها والملحقة بالقصور، أما الكبيرة منها فقد أصبح وجوده ملازما لها، مثلما هو الحال في المسجد الأعظم والبيازين وغيرها.

وفي الفتاوى التي توردها كتب النوازل يرد ذكر هذا الجزء وهل يدخل ضمن حرم المسجد؟ وهل له حكمه؟ أم يعتبر خارج هذا الحرم؟، وتتفاوت الإجابات فبينما يرى الأغلبية أنه جزء مكمل للمسجد وله حكمه، يرى آخرون عكس ذلك(٥٩)، ويترتب على هذين الرأيين أحكام، فعلى الرأي الأخير، يترخص الناس باستخدامها والجلوس والسمر بها، وهذا له سلبياته على المسجد نفسه؛ لكن الفقهاء وقفوا بحزم ضد هذه الاستعمالات الخاطئة خاصة أولئك الذين اعتبروه مكملا للمسجد، وهذا ما نجد صداه في تلك الفتوى التي أصدرها أحد علماء غرناطة منتقدا تلك الممارسات الخاطئة التي تحدث في المسجد الأعظم(٦٠).

وهناك ملاحظة توقف عندها الأستاذ المؤرخ حسين مؤنس ـ رحمه الله ـ تستحق الاهتمام، وهي أن الصحن في مساجد الأندلس تقل مساحته عن بيت الصلاة لأن كثرة الأمطار والبرد القارس شتاء تقلل من أهميته، فتنكمش الصحون المكشوفة في هذه البلاد كلما اتجهنا شمالا حتى تنتهي نهائيا عند طليطلة، فاقتضى الأمر تصغير مساحات المساجد مع إكثار عددها ما أمكن(٦١).

وقد عمد الأندلسيون إلى غرس الأشجار في أفنية مساجدهم الكبيرة، متجاوزين ذلك الخلاف الذي يبدو أنه حسم لصالح أنصار جواز تزيين

المساجد بغرسها[٦٢]، مؤكدين على أن ما أثاره بعض الفقهاء من احترازات حول نظافة المسجد مما يسببه ما يحمله من ثمر وما يقع عليه من طير ونحو ذلك، بأن كل هذا يمكن تحاشيه بالنظافة، وغرس ما لا يثمر من الشجر[٦٣]؛ ولذا فقد تميزت المساجد الأندلسية بتجميلها بالأشجار الكثيفة بعكس المساجد المشرقية[٦٤].

وعلى أطراف هذا الجزء من المسجد يقع عدد من المرافق المهمة والضرورية له، مثل: المئذنة ودار الوضوء، وقد تلحق به مكتبة توقف على طلبة العلم، وغرف لسكن المعلمين والغرباء والمحتاجين من الطلبة، وأحيانا تضم أروقة المعلمين وأصحاب الدروس[٦٥] بمعنى أنها تكون بمثابة المدارس شبه النظامية. وتفصيل الحديث في هذه المرافق، يصب في طائلة القول المكرور، خاصة وأننا سنحاول تغطية ذلك عند الحديث التفصيلي لكل مسجد على حدة فيما بعد إن شاء الله.

ثانيهما: بيت الصلاة وهو الجزء الأمامي المسقوف من المسجد الواقع ما بين الصحن والمحراب، وتختلف مساحته من مسجد لآخر، فهناك مساجد يتم سقفها بالكامل كما ذكرنا آنفا، فتصبح بيوت صلاة بلا صحون، بينما يشغل بعضها ما بين صفين من الأعمدة إلى نصف مساحة المسجد أو أكثر، لأنه يشكل الجزء الرئيسي من المسجد.

ويعتمد بيت الصلاة على غابة من الأعمدة ذات التيجان والأقواس المميزة التي أبدع الفنان المسلم في تشييدها وتنسيقها، يتضح ذلك جليا في مسجد قرطبة الكبير الذي أصبح قدوة لمساجد الأندلس في تخطيطها وعمارتها.

ويتكون هذا الجزء من المسجد من عدة مرافق أساسية، أهمها:

المحراب الذي يأخذ اتجاها ثابتا نحو القبلة، ثم المنبر وهذا غالبا ما يكون في الجوامع والمساجد الكبيرة وقد يكون ثابتا أو متحركا، بالإضافة إلى أجزاء أخرى لا يتسع الحديث لذكرها.

## ٦ ـ تعداد المساجد:

خلال استعراض واستقراء مخطط المدينة، نلحظ توزع المساجد وانتشارها في الأحياء الغرناطية بشكل مناسب، تتضح فيه المعايير المنطقية مثل تواجد السكان وكثافتهم، ونسبة المسلمين فيهم، وقربهم أو بعدهم عن المساجد الشهيرة . . .إلخ، فتقل نسبة المساجد في الأحياء القديمة المأهولة بالذميين من يهود ونصارى، بينما تزداد بشكل ملحوظ في الأحياء الجديدة التي أنشأها المسلمون وسكنوها في غرناطة.

ومع أننا لانملك إحصائية دقيقة لها في غرناطة الإسلامية خاصة في الفترات المتقدمة من تاريخها، إلا أنه من البديهي جدا أن تعدادها مرتبط بعدد السكان زيادة أو نقصا، لذا فإن الرقم الذي تمثله في الفترة الأولى أي قبل القرن الخامس الهجرى/ الحادي عشر الميلادي لن يكون مثله في هذا القرن بالذات، بعد أن عمّرت المدينة وتنامى سكانها، كما أشرنا سابقا؛ ولا شك أن فترة المرابطين بدوافعها الدينية القوية كانت داعما قويا للإكثار من تشييد المساجد. أما في العهد النصري فقد اطردت هذه الزيادة تمشيا مع زيادة السكان الذين بلغ تعدادهم في غرناطة أواخر عهدها الإسلامي زهاء نصف مليون[٦٦]، وهذا ما تؤيده المصادر الأخرى فابن فضل الله العمري الذي زار غرناطة في هذه الفترة المتأخرة يذكر أن مساجدها «لا تكاد تحصى لكثرتها»[٦٧]، وهو ما يؤكد عليه ابن الخطيب أيضا[٦٨]، بينما يعطينا الطبيب الرحالة الألماني منتزر J. Munzer الذي زار غرناطة بعد سقوطها بعامين

رقما معقولا لتعداد المساجد في هذه المدينة قبل تحويلها إلى كنائس أو هدمها وإزالتها، فيذكر أن تعدادها قد تجاوز المائتي مسجد[٦٩]، وهو رقم لا يباعد الحقيقة كثيرا إذا وضعنا في الاعتبار نمو هذه المدينة وتكاثر سكانها، ففي حي واحد من أحيائها هو حي «البيازين» قدرت مساجده بأكثر من ثلاثين مسجدا[٧٠]، بالإضافة إلى ما يلحق بها من الزوايا والأربطة والتي تقام فيها الصلوات في كثير من الأحيان.

وفي دراسة قمت بإعدادها وإلقائها في مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب وتم نشرها في سجل هذا المؤتمر (رجب ١٤١٦هـ)، استطعت حصر سبعة وخمسين تأكد لي أنها مساجد، مستمداً أكثر معلوماتها من كتب الأحباس التي تعتبر أراشيفا للدوائر الكنسية الغرناطية، لمعرفة نصيب كل دائرة من تركة المسلمين بعد سقوط غرناطة، والتي تم نشرها ودراستها أخيرا على أيدي بعض الباحثين الإسبان، أهم هؤلاء الباحثة ماريّا كارمن بيّانويبا ريكو M. Carmen Villanueva Rico التي أمكن فيها حصر مائة وستة وثلاثين ما بين مسجد ورباط وزاوية، وما ألحق بالمساجد مما عرف بالربيطة، والتي سنتناولها بالبحث في الدراسة اللاحقة إن شاء الله.

## ٧ـ مسميات المساجد:

من المشكلات التي تواجه الباحث في هذا الموضوع، تعدد المسميات لمساجد غرناطة، واختلاف هذه التسمية من مصدر لآخر، وهذه ظاهرة طبيعية، إذ في بعض الأحيان يطلق على المسجد اسم الحي الذي يقع فيه، أو اسم الشخص الذي أشرف أو تبرع ببنائه، وأحيانا يرتبط باسم الإمام الذي يصلي فيه، أو باسم مناسبة تاريخية أو دينية ونحوها، وقد تطلق على المسجد الواحد كل هذه المسميات مجتمعة أو بعضا منها. وبمتابعة أسماء

تلك المساجد التي وصلتنا أسماؤها نلاحظ ذلك جيدا، ونرى إطلاق اسم جامع على المسجد العادي تجاوزا[71] باعتباره مكانا للتجمع والالتقاء اليومي، أما الجامع في الاصطلاح المتعارف عليه، فمعروف أنه هو الذي تقام فيه صلاة الجمع، وهو ما يجتمع به رواد عدة مساجد متجاورة فيصلون به صلاة الجمعة إذا توافرت شروطها. لكن في غرناطة التي يسود بها مذهب الإمام مالك ـ رضي الله عنه ـ هناك تحفظ على تعداد الجوامع، إذ يرى علماء هذا المذهب عدم الأخذ بوجود أكثر من جامع في المدينة الواحدة[72]، وهو موضوع دار حوله الجدل حتى بين المالكيين أنفسهم، فأجاز بعضهم إقامتها في مسجدين أو أكثر لكن في حدود ضيقة جدا، مثل كثرة المصلين في الجامع الواحد بحيث لا يستطيعون متابعة الإمام على الوجه المطلوب، أو وجود حواجز طبيعية تمنع من اجتماعهم[73]؛ بالإضافة إلى ما نلمسه من إصرار بعض الحكام ورغبتهم في التفرد بجوامع خاصة بهم إما لدواع أمنية أو نحوها، مما جعل هؤلاء الفقهاء يتجوزون قليلا في أمر هذا التعدد.

على أن غرناطة لم تخرج عن هذه القاعدة، فالإشارات تؤكد على انفراد المسجد الأعظم بإقامة الجمعة فيه وحيدا حتى عمرت قلعة الحمراء على يدي بني نصر[74] فترخص بعض فقهاء غرناطة فى إجازة إقامتها بمسجد هذه القلعة التي تحولت إلى مدينة صغيرة فيها كل مقومات المدن الكبرى، مما سوغ إقامتها هناك، الأمر الذي حقق لسلاطين بنى الأحمر رغبتهم.

وعلى هذا فإن صلاة الجمعة تقام في مسجدين كبيرين أحدهما الجامع الأعظم والآخر مسجد الحمراء؛ ومما يزيد هذا الرأي تعضيدا ما ذكره ابن الخطيب عن جوامع غرناطة وتوابعها في العهد النصرى، بأن تعدادها قد بلغ أكثر من ثلاثمائة «تنصب في نحو خمسين منها منابر الجمعات»[75]، وهذه

التوابع فيها مدن كبيرة وقرى متعددة بالإضافة إلى مراكز تجمعات سكانية أخرى، وهنا يظهر تطبيق القاعدة المذكورة آنفا والتي ترى بعدم تعدد الجوامع في القطر الواحد، مع أنه يصعب الجزم بذلك لأن منتزر الألماني ذكر في مذكراته بعد أن حضر وشاهد صلاة الجمعة في المسجد الأعظم ورأى كثرة المصلين إلى أن هناك مساجد أخرى مليئة بهم أيضا[٧٦]، لكنه لم يوضح هذه النقطة فلم يذكر أسماءها ولا عددها، وما إذا كان المقصود نفس صلاة الجمعة أم صلوات أخرى، لجهله بعدد الصلوات وترتيبها وأنواعها.

## ٨ ـ مرتادو المساجد الغرناطية:

يهتم مسلمو غرناطة في حضور الصلوات جماعة في المساجد، ومن باب أولى في حضور الجمع، «إذ تُمد الأكف البيض وتلهج الألسن الفصيحة بالدعاء لله وحده» على حد تعبير ابن الخطيب، الذي يشيد بهم بقوله: «فتبصرهم في المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المتفتحة في البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة»[٧٧]، ويصفهم في موضع آخر بصلاح العقائد وبأن «الأهواء والنحل فيهم معدومة»[٧٨].

وهذا الحرص على حضور الجمع والجماعات نجد صداه في مذكرات الرحالة الألماني أيضا الذي ذكرنا قبل أسطر حضوره لإحدى الجمع في مسجد غرناطة الأعظم، فبعد اقترابه من المسجد ووقوفه ببابه، أشاد بعدد الحاضرين من المصلين الذين غصّ بهم الجامع، مما اضطر البعض منهم إلى الصلاة خارج المسجد، ثم يسرد لنا مشاهداته من دخول الإمام الخطيب، وهيئته، وخطبته، ووقائع الصلاة. . .إلخ ثم الصلاة على الميت بعد انتهاء الجمعة، كما يذكر أن أبواب الجامع ازدحمت بطالبي الصدقات الذين كانوا أسرى لدى النصارى ثم أطلق سراحهم[٧٩].

ويقصد الغرناطيون المساجد حتى في غير أوقات الصلاة والتعلم أحيانا لأهداف متعددة، وهو ما تؤكده بعض المصادر في إشارات عابرة[٨٠]؛ أما الوافدون من خارج المدينة فيتخذ بعضهم من المسجد نزلا مؤقتا مصطحبين معهم أغراضهم الشخصية، وهي عادة يبدو أنها مطّردة في مساجد غرناطة خاصة الجامع الأعظم منها[٨١]، وهدفهم الراحة المؤقتة أو المبيت إذ من حقه ذلك إذا كان غريبا[٨٢]، وهؤلاء في غالبيتهم إما من أهل البادية وإما من القرى المحيطة بغرناطة[٨٣]، ممن لا يملكون المال الكافي لاستئجار سكن لهم أثناء إقامتهم.

ويذكر أحد أشياخ لسان الدين بن الخطيب مسامرته له في أحد مساجد المدينة، وإنشاد ابن الخطيب له في نفس المكان[٨٤]. ويعني هذا إخراج المسجد الغرناطي من إطاره التعبدي الصرف، إلى كونه منتدى بريئا لسكان المدينة، الذين يقصدونه للمسامرة المحتشمة، أو مناقشة قضايا علمية واجتماعية ونحوها.

وهذا ما يعكسه اهتمام الغرناطيين بمساجدهم وترتيب شؤونها من تعهدها بالنظافة، والعناية بها وفرشها، والعمل على إظهارها بالشكل المناسب، وذلك بغرس صحونها بالأشجار - خاصة الكبيرة منها - تجملا لها، والتماسا لظلها حتى تحمي المصلين في حرّ الصيف[٨٥].

على أن مساجد غرناطة مع ما بذل في نظافتها والاهتمام بها نجد أيضا ما يعيق هذه الجهود المبذولة، وهذا ما نراه في تلك الفتوى المطروحة أمام بعض فقهاء غرناطة والتي يشتكي فيها السائل من فوضى أهل البادية الذين ينزلون في رحبة المسجد الأعظم، ويدخلون التين لتجفيفه بالمسجد، ويأكلون ويتحدثون. . . دون احترام لبيت الله[٨٦].

## ٩ - العناية بالمساجد :

ومن مظاهر الاهتمام بالمساجد التنافس الشريف في خدمتها، ووقف الأموال والعقار وغيرها لهذا الغرض[٨٧]، الشيء الذي تشيد به المصادر خاصة كتب النوازل ووثائق تلك الفترة. ومن استعراض كمية ونوعية هذه الموقوفات يظهر جليا تعلق أصحابها بالمساجد، والحرص على خدمتها والعناية بها كل على قدر استطاعته وبما يتوفر له، وتظهر القائمة أنواعا من الموقوفات قد لا تخطر بالبال[٨٨] سرد لنا الونشريسي في معياره[٨٩] أنواعا متعددة منها، سواء ما يتعلق ببناء المساجد وترميمها أو فيما يخدمها من فرش وإنارة ومياه، وكذلك فيما يصلح حال أئمتها ومؤذنيها والقائمين عليها، مما يخدم المسجد ويؤهله لأداء رسالته على الوجه المطلوب؛ وقد استدعى الأمر أن يعين لكل مسجد - خاصة الكبرى منها - ناظر أحباس خاص به يتولى شؤون أحباسه الموقوفة عليه[٩٠].

ومن أوجه العناية التي أوليت للمساجد الغرناطية: إنارتها وتوفير المياه لها. أما إنارتها فتستحق وقفه خاصة نظرا لتوفر كمّ لابأس به من المعلومات حولها؛ إذ مرت إنارة المساجد بشكل عام بمراحل متعددة، فبعد الإظلام التام اهتدى المسلمون إلى إنارتها بالسرج المشتعلة باستخدام الزيت بأنواعه[٩١]، ثم تطورت وسائل الإنارة باستخدام النفط لهذا الغرض في جامع غرناطة الأعظم، والذي أعد لذلك كوقف ثابت له[٩٢] وفي أخرى كان الشمع قد خصص هو الآخر كوقف على نفس الجامع للغرض نفسه وإن كان الموقّف قد حدد الإستفادة منه بالقراءة فقط[٩٣].

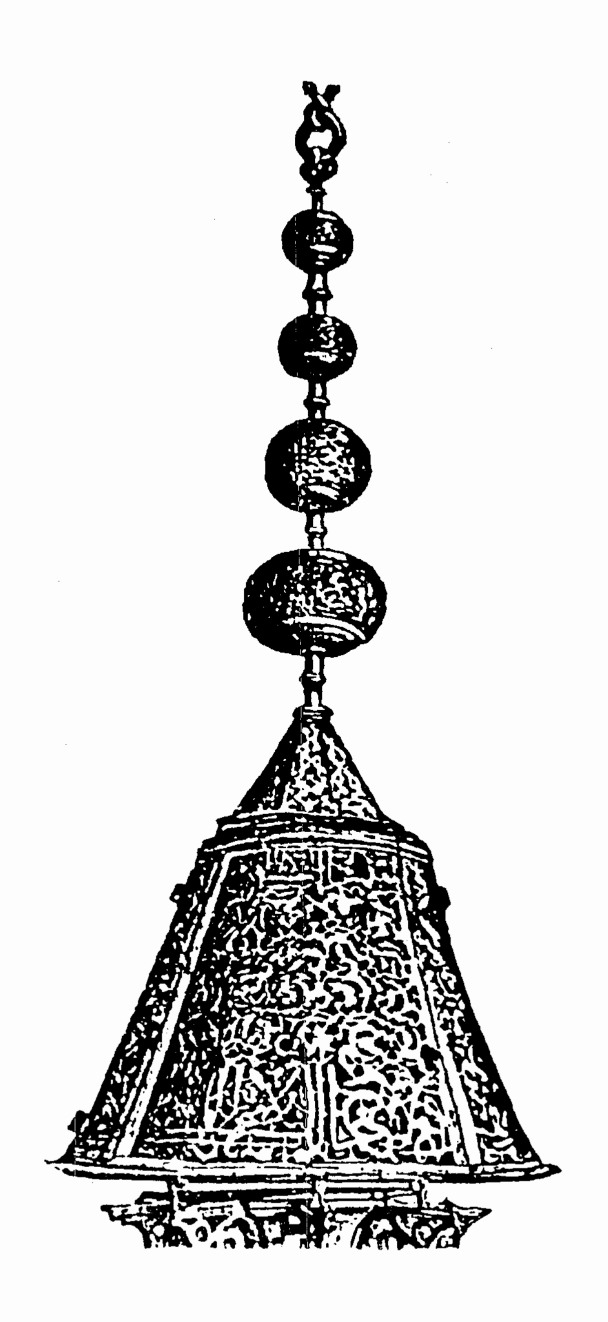
أما المياه ونصيب المساجد منها فى غرناطة التي لا تشكو من قلتها حيث يخترقها نهر هدارة من الشرق إلى الغرب ونهر شنيل يحفها من الجنوب، وهذا الواقع الذي أعجب به ابن فضل الله العمري وهو جريان الماء في أرجاء

هذه المدينة عند زيارته لها جعله لا ينسى أن يذكرنا بأن مساجد غرناطة هي الأخرى قد استفادت من ذلك[٩٤]؛

وكان الماء يرفع إلى الأماكن المرتفعة بواسطة النواعير أو مراوح الهواء، ثم يضخ في مجار معدة لذلك لتوصيله إلى أنحاء المدينة، بينما حفرت الآبار في بعض المساجد التي يصعب إيصال مياه الأنهار إليها، لضمان وجود المياه بها على مدار العام لا سيما وأن الأنهار يقل منسوب مياهها في الصيف وفي أوقات الجفاف، ولسنا بحاجة إلى التذكير بأهمية الماء للمسجد فبالإضافة إلى الوضوء والسقياء هناك استخدامات أخرى يأتي في مقدمتها تنظيف المسجد وغسل فرشه . . . إلخ

## ١٠ - المسجد والكوارث الطبيعية:

تعرضت مساجد غرناطة - كغيرها - لكوارث طبيعية متعددة، فمثلا حدثت فيضانات مدمرة في غرناطة النصرية، وبالتحديد في ذي الحجة من سنة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٨م وصلت فيها المياه إلى رحبة الجامع الأعظم، ودمرت المساجد الواقعة على ضفتي نهر هدارة[٩٥]؛ كما أن منطقة غرناطة تنشط فيها الزلازل، وقد تعرضت لعدد من الهزات القوية، وما زال قاطنوها يحسون بهذه الهزات الخفيفة من حين لآخر خاصة في فصل الربيع[٩٦] وقد ضرب زلزال عنيف هذه المدينة وهدم أسوارها وأبراجها سنة ٨٣٥ هـ/ ١٤٣١م مما كان سببا في ضعف دفاعاتها، حيث لم تتم إعادة بنائها على الوجه المطلوب[٩٧] ولا شك أن لذلك تأثيره المباشر على المباني الغرناطية ومنها المساجد، إذ تأثّر منار الجامع الأعظم تأثرا بليغا جراء إحدى الهزات الأرضية التي ضربت المدينة سنة ٩٣٣هـ/ ١٥٢٦م وقد سقطت بعض أجزائه[٩٨].



أحد مصابيح جامع الحمراء وهو ثريا من البرونز ومازال يحتفظ بـه متحف الآثار الوطني في مدريد .

## ١١ - المسجد والأحداث السياسية:

وكما أن للمسجد نشاطه الديني والعلمي والاجتماعي، فقد كان له دور في الأحداث السياسية التي شهدتها هذه المدينة، ويكفي أن نشير إلى أن ابن الأحمر الذي حكم غرناطة وأقام بها دولة استمرت حوالي ٢٥٠ سنة، تُوّج في أحد مساجدها كأميرلها بعد مقتل ابن هود[٩٩] ويشير ابن الخطيب إلى أحد المعارضين السياسيين لأمير غرناطة، الذي انكشف أمره وطرد إلى المغرب، بأنه كان يطرح المنشورات التي تفضح هذا الحاكم في محراب مسجد البيازين[١٠٠]؛ وفي إحدى الثورات التي عمّت غرناطة ضد أحد سلاطين بني الأحمر كان الثوار فيها يعلنون رفضهم وتمردهم من على مآذن ومنابر المساجد الغرناطية[١٠١].

وقد أصبحت بعض مساجد غرناطة مسرحا لأحداث أشد عنفا وقساوة وانتهاكا لحرمة المسجد، فمثلا تمّ اغتيال أبي الحجاج يوسف وهو ساجد في صلاة عيد الفطر من سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م، على يد أحد معارضيه[١٠٢]؛ وهناك أمثلة أخرى تدل دلالة واضحة على ما للمسجد من أهمية ودور في الأحداث السياسية سواء منها ما كان سليما، خاصة الإعداد للجهاد ضد الأعداء ونحوها مما يدخل أصلا في رسالة المسجد، أو ما عداها من أحداث دامية وأمور سياسية أقحم فيها، لا في عهد بني نصر وحده وإنما في الفترة السابقة لها، كعصر الطوائف - مثلاً - كما يلمح الأمير عبدالله لذلك في مذكراته[١٠٣].

## ١٢ - المسجد ودوره العلمي :

يرتبط المسجد في حياة المسلمين ارتباطا وثيقا، فإلى جانب وظيفته التعبدية في المجتمع الإسلامي، أدى دورا رياديا على امتداد العصور

الإسلامية، خاصة في مجال العلم بشتى مجالاته، وتقديمه للناس في صور متعددة قد تكون بالإقراء وإعطاء الدروس أو الوعظ والإرشاد المباشر، وقد تكون بالفتيا ومجالس الندوات والمناظرات، ويكفي أن نشير إلى ما تحتويه المساجد من مكتبات كانت تضم أمهات الكتب في شتى العلوم، فأصبحت مراكز إشعاع في المجتمع الإسلامي، مما أهّل المسجد ليكون أقدم مؤسسة تعليمية إسلامية(١٠٤)؛ وفي الأندلس لم يختلف الأمر كثيرا عنه في المشرق الإسلامي، فقد حافظوا على وظيفة المسجد هذه وأصبحت مساجدهم تستقطب فنون العلم والعلماء، فهي دور للعبادة ومحاريب للعلم وطلابه، وهو ما يصوره المقري بقوله: «ليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم، بل يقرؤون جميع العلوم في المسجد بأجرة»(١٠٥).

وفي المساجد الجامعة كان يقوم بالتدريس أكثر من معلم واحد حتى إن الدور كان يقسم بينهم بالتناوب، كما كان هناك أكثر من مجلس للعلماء في أنحاء المسجد الواحد، إذ يعقد هؤلاء مجالسهم العلمية وحلقاتهم الدراسية، ويجرون فيها المناظرات العلمية، ويظهر ذلك واضحا من دراسة تراجم مئات العلماء الأندلسيين، وما قدموه للعلم وطلابه في هذا البلد، حيث اتخذوا من المسجد مركزا لإلقاء دروسهم، وبذل مالديهم من علم لطالبيه.

ولا تخرج مدينة غرناطة عن هذه القاعدة، فقد أصبحت بعض مساجدها بمثابة جامعات تستقطب تلاميذها من شتى الأقطار، حتى من خارج الأندلس خاصة شمال أفريقية الذي كان الارتباط بينه وبين مدرسة غرناطة العلمية واضحا؛ ويأتي على رأس قائمة هذه المساجد الجامع الأعظم، فمن استعراض تراجم علماء غرناطة ومفكريها نجد عددا كبيرا منهم وقف نفسه للتدريس في هذا المسجد، ليس في فترتها الأخيرة فقط وإنما منذ وقت

مبكر، إذ يورد لنا الخشني جملة من أسماء أولئك العلماء الذين ظهروا في كل من ألبيرة وغرناطة في تلك الفترة المبكرة[١٠٦]، وكانوا من رواد العلم والتعليم في الأندلس في عصر شهد نهضة علمية آتت أكلها في القرنين الرابع والخامس الهجريين / العاشر والحادي عشر الميلاديين وما تلاهما.

وفي القرن الخامس الهجري توفر لنا جملة من الأسماء المهمة تبوؤا مراكز علمية في غرناطة، فهذا الحسن بن عبيدالله الحضرمي جلس يقرىء الناس في الجامع الأعظم منها حتى وفاته سنة ٤٨٦ هـ/ ١٠٩٣م[١٠٧]، ومثله كان علي بن سليمان الزهراوي الذي كان من المهتمين بالتفسير والقراءات وكذلك الحساب، والذي اتخذ من نفس الجامع مكانا له[١٠٨]، أما عبدالله بن فرج اليحصبي الذي توفي سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م، فقد نحى منحى آخر، إذ اتخذ من الوعظ والإرشاد في الجامع المذكور طريقا لإيصال علمه ودعوته لطلابه[١٠٩].

وكان للعربية مكانتها في هذا الجامع الذي استقطب عددا من علمائها من أمثال محمد بن مسعود الخشني، الذي استوطن غرناطة وظل بها حتى وفاته سنة ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م، يعطي دروسا في اللغة العربية وآدابها[١١٠].

تتوارد الأسماء وتتكاثر كلما اقتربنا من أيام غرناطة الأخيرة، ففي العهد النصري نجد جملة من الأسماء من بينها الرحالة المشهور ابن رشيد، الذي قصد غرناطة سنة ٦٩٢ هـ/ ١٢٩٣م بطلب من وزيرها[١١١]، فعقد مجالسه العلمية للخاص والعام، يقرىء فيها فنونا من العلم[١١٢]؛ وكذلك محمد بن يحيي الأشعري الذي تولى القضاء والخطبة في الجامع الأعظم، ولازم الإقراء والتعليم فيه بفنون متعددة مثل القرآن والفقه والأصول والعربية بالإضافة إلى الحساب والفرائض[١١٣]، كما نجد آخرين من أمثال علي بن عمر القيجاطي، الذي كانت دروسه في الجامع الأعظم من غرناطة تعطى في

الفقه والقراءات والعربية والأدب[114]؛ أما معاصر ابن الخطيب محمد بن أحمد التلمساني فقد خصص دروسه للسيرة النبوية في الجامع نفسه[115] هذه أمثلة فقط، إذ القائمة تمتد لتشمل عشرات الأسماء التي أوردتها كتب الفقه والتراجم ونحوها.

كان جامع الحمراء له مكانته هو الآخر في هذا المجال فابن زمرك الأديب والشاعر الشهير كان يلقي فنونا جّمة من بينها التفسير[116]، لكن هذا المسجد اصطبغ بالصفة الرسمية، إذ اقتصر التعليم فيه على الأسرة الحاكمة[117]، ومن في حكمها من أبناء الوزراء والحاشية ممن يقيم في دائرة القصور السلطانية.

وهناك مساجد أخرى كان لها شأنها في هذا المجال أيضا مثل مسجد البيازين وغيرها، لكن المصادر لم تفدنا كثيرا عما قدمته في هذا المجال.

ويتضح من خلال هذا العرض أن هناك فنونا علمية متعددة كان لها نصيبها في جامعي غرناطة، لم تقتصر على علوم الشريعة واللغة العربية بل شملت مجالات أخرى كالتاريخ والرياضيات ونحوها.

## ١٣ - وظائف مرتبطة بالمسجد:

يرتبط بالمسجد عدد من الوظائف المهمة التي تؤهله لأداء رسالته على الوجه المطلوب، حرص المسلمون على توفرها والإنفاق عليها سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي، وسنتوقف عند أبرزها محاولين الاستفادة قدر الإمكان مما وفرته لنا الوثائق المختلفة من مادة علمية.

### أ- القبلة:

تعد الأندلس من البلاد القاصية التي تبعد عن مكة آلاف الأميال، لذا فإن تحديد اتجاه القبلة بدقة يحتاج إلى مهارة متناهية، وقد أصبحت من

الإشكاليا ت التي يواجهها المسلمون في بداية أمرهم، مع محاولة الأندلسيين حلّ هذه المعضلة بعد أن اكتشفوا الآلة التي يمكن بواسطتها تحديد القبلة بدقة، إلا أن كتب النوازل تكشف لنا أنها ظلت مثار جدل حتى القرون المتأخرة من وجود المسلمين في الأندلس مما يعني رفضهم الاعتماد على الآلة وحدها(١١٨)، فمع اتفاقهم على أن اتجاه القبلة في الأندلس هو الربع الجنوبي الشرقي، وفي هذا الاتجاه وضعوا محاريبهم وإن انحرفت يمينا أو شمالا داخل هذا الاتجاه فهي لم تخرج عن نطاقه(١١٩)؛ لكن مع ذلك نجد هذه المسألة تثار في الأندلس بين حين وآخر، حتى إن الخليفة الأموي الحكم المستنصر كاد أن يحول قبلة جامع قرطبة بعد أن اكتشف انحرافها فمنعته العامة(١٢٠) ومع أن هذا المقدار موضع الخلاف، لا يتعدى بضعة سنتيمترات إلا أن الموضوع أُعطي أكبر من حجمه، فمورينو Moreno يعتقد جازما أن محراب مسجد قرطبة وغيره من مساجد الأندلس كان يتجه من حيث المبدأ نحو الجنوب تقليدا لمساجد الشام ونزولا على حكم العرف دون الحقيقة الجغرافية(١٢١)، ومع أن المبالغة تبدو واضحة في هذا الرأي إلا أنه موضوع يستحق المناقشة والدرس.

تعود هذه القضية إلى السطح مرة إثر أخرى، وفي أماكن متعددة من الأندلس، كان آخرها في مدينة غرناطة على عهد قاضيها أبي القاسم ابن سراج(١٢٢)، حيث تداولتها الأقلام بالأخذ والرد واستغرقت عدة صفحات من معيار الونشريسي(١٢٣)، مما يفهم معه أن هذا الموضوع ظل من الإشكاليات المستعصية للحل، في وقت كان على هؤلاء أن يكثفوا جهودهم، ويوجهوا أقلامهم لموضوعات أشد إلحاحا وأهمية وعليها يتوقف مصير الإسلام والمسلمين في شبه الجزيرة الأيبيرية.

**ب - التوقيت :**

في المساجد الكبيرة بالبلاد الإسلامية احتاج الأمر أن يخصص للتوقيت موظف متفرغ يقوم بهذه المهمة، وهو تحديد مواقيت الصلاة ومعرفة أوقات دخولها وخروجها وتنبيه المؤذنين لذلك، ويتطلب القيام بهذه المهمة المعرفة التامة بالحساب وعلم الهيئة، واستخدام الأجهزة التي تفي بهذا الغرض، وقد توافر بغرناطة عدد ممن مهروا بعلم الفلك وما يتعلق بالتوقيت من آلات وأجهزة(١٢٤).

كان لهذه الوظيفة حضورها في الجامع الأعظم بغرناطة، إذ تؤكد الروايات على وجودها وتحدد ملامحها ومهامها ومن قاموا بها، فيذكر ابن الخطيب عن أبي جعفر أحمد بن حسن الأسلمي : أنه كان مؤقتا في المسجد الأعظم بغرناطة، «وكان نسيج وحده معرفة بالهيئة، وإحكاما للآلة الفلكية، وقد أخذ ذلك عن والده شيخ الجماعة في هذا الفن»(١٢٥).

وربما استدعى الأمر أن يكون هناك أكثر من مؤقت يرأسهم أمهرهم وأعلمهم بهذا الفن، فهذا حسن بن محمد بن باصة كان رئيسا للمؤقتين بالجامع الأعظم بغرناطة، هذا بالإضافة إلى كونه فقيها وإماما في علم الحساب والهيئة، ماهرا في التعديل(١٢٦).

**ج - الأذان :**

للأذان أحكامه وآدابه التي فصلتها كتب الحديث والفقه، وهنا سنتحدث عنها كوظيفة لها مكانتها وأهميتها في مساجد الأندلس عامة ومنها غرناطة، وعلى العموم لا نحظى بمعلومات ذات شأن حول هذه الوظيفة في الأندلس ولا من يشغلها لا في كتب التراجم ولا في مدونات النوازل، لكن الرحالة الألماني الذي أثار فضوله واستغرابه أصوات المآذن وهي تصدح في هدأة

الليل منادية لصلاة الفجر، ترديد جنبات غرناطة صدى هذا الصوت، ذكر عند مشاهدته لإحدى الجمع في الجامع الأعظم أن عددا من المؤذنين كانوا ينادون بالأذان من مئذنة هذا الجامع(١٢٧)، كما توقف الونشريسي عند حادثة وقعت في الجامع نفسه لخطيب الجمعة في هذا المسجد مؤكدة هذا الواقع الذي ذكره منتزر، فيذكر أن الإمام شرع - ساهيا - في الخطبة قبل انتهاء المؤذن الثالث من أذانه(١٢٨)، ومنها نستنتج وجود أكثر من مؤذن في هذا الجامع الكبير، وأن تعدادهم قد وصل إلى ثلاثة على الأقل، مع أننا لم نوفق بمزيد من المعلومات التي تزيد الأمر إيضاحا، لكن من قضية أخرى معاصرة، نجد أن عدد المؤذنين قد وصل إلى سبعة في إحدى مساجد مدن الغرب الإسلامي الكبيرة، ويدور الحديث في هذه القضية على أن الأصل كونهم أربعة(١٢٩)، وهو العدد المتوقع في جامع غرناطة هذا؛ أما بقية المساجد الغرناطية وعدد مؤذنيها، فيصعب الإدلاء فيها برأي في ظل صمت المصادر المعاصرة.

أما مكافأة المؤذن فعادة ما تتولى صرفها الدولة، وقد تدفع من غلة أحباس المساجد، وهو ما يستنتج من المداولات التي ترويها كتب النوازل خاصة المعيار المعرب، والذي يورد بعضا من الأسئلة والقضايا وردود المفتين حول صرف مكافأة المؤذن من الأحباس، ووقف الأموال والعقار لسكنه أو إعاشته ونحو ذلك(١٣٠).

وقد قرن الفقهاء في كثير من الأحيان بين التوقيت والأذان، فمهمة المؤذن إعلام الناس بدخول وقت الصلاة برفع الأذان، ومن هنا ارتبطت وظيفته بتحديد الوقت وإن كان ذلك مقتصرا على دخوله، فإنه سيهتم بخروجه لمعرفة دخول الوقت التالي، وعلى هذا فربما اندمجت هاتان الوظيفتان في شخص المؤذن نفسه في بعض المساجد خاصة الصغيرة منها.

### د - الإمـامـة :

تأتي منزلة هذه الوظيفة بعد الإمامة الكبرى وهي الخلافة في المجتمع الإسلامي، ويعتبر من يقوم بها هو المسؤول الأول عن المسجد، ولهذا فقد تطلب توليه لهذا المنصب أن يكون من ذوي العلم والأهلية، وممن يتقنون القراءة ويحسنون التلاوة، وممن هم على جانب كبير من المعرفة بأحكام الدين والعبادة[١٣١].

وحينما نتوقف عند هذه الوظيفة في مساجد غرناطة نجد أنها محط اهتمام الجميع ليس من قبل الدولة وحدها بل حتى من قبل أفراد المجتمع العاديين، نلحظ ذلك واضحا من استعراض فتاوي علماء غرناطة وما يرد عليهم من استفسارات وأسئلة، حول الإمام الراتب، والإمام المتطوع، وأجرة الإمام، ومن يدفعها؟ وبيت الإمام[١٣٢]، إلى آخر تلك التساؤلات التي تدل على قدره والاهتمام بشأنه.

هذا على مستوى المساجد الغرناطية الصغيرة، أما الجامع الأعظم ومسجد الحمراء، فقد أوليت إمامتهما عناية خاصة، وتدخلت الجهات الرسمية في تعيين إماميهما في كثير من الأحيان، حسبما يفهم من النصوص المتعددة[١٣٣]؛ من ناحية أخرى ارتبط القضاء بالإمامة في أحد جامعي غرناطة الشهيرين الأعظم أو الحمراء، أو الخطابة والصلاة في أحدهما، فمن شرط ولاية منصب القضاء في غرناطة، القيام بأداء خطبة وصلاة الجمعة أو إمامة الصلاة الراتبة في أحد المسجدين المذكورين، ولدينا نص صريح في ذلك، إذ يتحدث ابن الخطيب في ترجمة أحمد بن محمد الأموي المعروف بابن برطال، فيذكر «أنه تقدم قاضيا بغرناطة وقام بالرسم المضاف إلى ذلك وهو الإمامة بالمسجد الأعظم منها والخطابة بجامع قلعتها الحمراء»[١٣٤].

ومن هذا النص وما يعززه من نصوص أخرى، نستنتج ارتباط هاتين الوظيفتين ببعضهما، وصبغهما بالصبغة الرسمية، وهذا ما تؤكده الوثائق عن الفترة النصرية على الأقل، وإن أشارت إلى ذلك أيضا في عهد المرابطين إذ في رمضان من سنة ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م، يصدر علي بن يوسف بن تاشفين مرسوما يقضي بتولية موسى بن حماد على قضاء غرناطة، مضافا إليها خطبة وصلاة الجمعة فقط، دون ذكر لإمامة الصلاة العادية(١٣٥).

بعد ذلك نجد اقترانا لهاتين الوظيفتين حينا، وارتباط القضاء بخطبة وصلاة الجمعة فقط سواء في الجامع الأعظم(١٣٦)، أو في مسجد قلعة الحمراء(١٣٧)، وقد لا نجد ارتباطا لأي منهما بالأخرى، كما يظهر لنا من خلال هذا النص الذي يتولى بموجبه عبدالمنعم بن محمد الخزرجي المعروف بابن الفرس القضاء من قبل المنصور الموحدي، إذ أوكل إليه بالإضافة إلى هذه المهمة النظر في الحسبة والشرطة(١٣٨)، وكما في تراجم شخصيات أخرى أوكلت إليهم إمامة صلاة الفريضة والجمعة دون القضاء(١٣٩)، أو الإمامة والخطبة في مسجد الحمراء فقط(١٤٠)، أو الفريضة لوحدها في الجامع الأعظم(١٤١).

ولدينا قائمة طويلة بأسماء من تولوا إمامة هذين المسجدين خاصة الأعظم منهما سواء في ذلك إمامة صلاة الجمعة وخطبتها، أو الإمامة العادية، لكن يظهر من النصوص المتوفرة بين أيدينا أن قاضي الجماعة في غرناطة يتولى عادة الصلوات أيام الأعياد والجمع في الجامع الأعظم منها.

بقي أن نشير إلى أن ما يتقاضاه الإمام كمكافأة ثابتة، يصرف من بيت مال المسلمين في غالب الأحوال، خاصة في المساجد الكبيرة، لكن هناك نصوصاً كثيرة تشير إلى أن أجرة الإمام تصرف من الوقف المخصص للمسجد(١٤٢) وحتى بيته الذي يسكنه لا مانع من شرائه، أو إكرائه من أموال

الأحباس تلك[١٤٣]، وهذه قد تكون حالة مقتصرة على المساجد الصغيرة في حجمها ومساجد القرى، وليست حالة عامة لا سيما في مساجد بحجم الجامع الأعظم، الذي تتولى الدولة رعايته والإشراف عليه، والصرف له من بيت المال، وإن كانت أوقافه تغطي هذه المصروفات في أوقات الشدة والأزمات، وعندما تعجز الدولة عن تغطية نفقاته .

أخيراً وبعد أن توقفنا مع غرناطة في فترتها الإسلامية، وتعرفنا على جانب مهم من معالمها ومرافقها الحيوية ألا وهي المساجد، والتي تعرف بأنها دراسة تحتاج إلى مزيد من العمق والتوسع، ولكن عذرنا في التقصير هو قلة ذات اليد من المادة العلمية التي يمكن بها سدّ هذه الفجوات، فمع البحث والتقصي لم أستطع الحصول على المزيد، ولعل هذا العمل يفتح المجال آجلا أو عاجلا أمام باحثين جدد يملكون من الإمكانيات ما لا أملكه، سواء ممن تتوفر لديهم وثائق مخطوطة أومطبوعة لم نتمكن من الوصول إليها، أو زملائنا المتخصصين في الآثار ويملكون أدواتها وتحليل معلوماتها، فعلى هؤلاء نعوّل في إضفاء الجديد على هذا الموضوع، وعزائي الوحيد هو تلك الدراسة اللاحقة التي أقوم بإعدادها الآن، كتكملة لهذا البحث وهى ما يتعلق بالمساجد نفسها، ودراستها بالتفصيل خاصة الكبيرة منها، وهى على وشك الإعداد الآن .

**ومن خلال دراسة هذا الموضوع تستوقفنا الحقائق الآتية:**

١ - أن غرناطة مدينة مخضرمة - إذا صح التعبير - فإذا نظرنا إلى أصل المدينة القديم ثم التجديد والتوسعة التي ألحقها المسلمون بهذه المدينة خاصة في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، وجدنا أحياء كبيرة أضيفت إلى غرناطة العتيقة، ومن هنا فإن غالبية تلك المساجد التي أنشئت كانت في هذه الأحياء الجديدة ذات الكثافة

السكانية المسلمة، بينما ظلت تلك القديمة على حالها بسكانها القدامى من يهود ونصارى ومع مرور الزمن استقطبت أعداداً من المسلمين أقاموا لهم مراكز للعبادة داخل هذه الأحياء.

٢ - أن الفترات التاريخية المتعاقبة التي مرت بها هذه المدينة جعلت منها مدرسة للفنون المعمارية المتعددة، ابتداء بالفن الخلافي القرطبي ومرورا بفن عصر الطوائف ثم المرابطين فالموحدين وانتهاء بالفن الغرناطي الذي اتضحت معالمه ووصل مرحلة النضج في عهد بني الأحمر، الذي ترجمته منشآت هذه الفترة المعمارية والتي تدخل المساجد ضمنها، مع اختلافات طفيفة يتطلبها وضعها كأماكن للعبادة.

٣ - تأثر المسجد الغرناطي بما يجري على الساحة، وارتباطه الوثيق بالمجتمع، واستقطابه لفئاته المتعددة، ليس للعبادةفقط بل لأغراض أخرى كالتعلم والتعليم، في وقت كانت المساجد بمثابة المدرسة والجامعة التي تخرّج العقول المؤثرة في المجتمع.

٤ - يلحظ المتتبع لأخبار الفترة المتأخرة من تاريخ هذه المدينة، ذلك الازدهار الحضاري الذي مثلته حلقات العلم بفنونها المختلفة، والتي احتوتها مساجد غرناطة، وعلى النقيض من الواقع السياسي المتردي، وهو نتيجة طبيعية أملتها ظروف التحدي والصراع من أجل البقاء، أمام عدو متفوق عسكريا ومعنويا؛ هذا الازدهار كان محط أنظار جيران مملكة غرناطة سواء منهم المسلمون الذين شدوا الرحال إليها للاستفادة ن حلقاتها العلمية وفتح جسور التواصل الثقافي معها، وكذلك النصارى الإسبان الذين تتلمذوا على ما جادت به قرائح علمائها خاصة في المجالات العلمية والفنية والمعمارية، وذلك عن طريق الترجمة النشطة في تلك الفترة.

## هوامش البحث

(١) تنتمي هذه الأسرة إلى قبيلة صنهاجة البربرية الكبيرة، وقد استقل بحكمها زاوي بن زيري في بداية القرن الخامس الهجري بعد صراع استطاع أن يحسمه لصالحه، فأسس إمارة بني زيري في غرناطة التي توالى أبناؤه على حكمها من بعده حتى سقوطها في أيدي المرابطين.

(٢) ليفي - بروفنسال: أدب الأندلس وتاريخه، ترجمة: شعيرة والعبادي، القاهرة ١٩٥١م ص ٦٥؛ عنان نهاية الأندلس القاهرة ١٩٨٧م ص ٤٤٠.

(٣) نشر هذا البحث الموجز بمناسبة تكريم الأستاذ خاثينتو بوش Jacinto Bosch في كتاب أصدره قسم الدراسات السامية في جامعة غرناطة بعد وفاته وذلك في نهاية عام ١٩٩١م.

(٤) أنظر مثلا:

GOMEZ MORENO: Guia de Granada, Granada,1892.J. MUNZER: Viaje Por: Espanay Portugal, Granada 1987. E . SECO DE LUCENA : Plano de GranadaArabe, Granada 1910. P. SECO DE LUCENA : Documentos Arabigo- Granadinos, Madrid 1961. la Granada Nazari del sigloxv. Granada 1975. M. Villanuevarico: Casas, mezqitas,y tiendas de los Habices de las Iglesias de Granda, Madrid 1966. Habices de las mezquitas de la ciudad de Granada y sus alquerias, Madrid 1961.

(٥) حول فتح هذا الإقليم أنظر: مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس... ص٢٠؛ اللمحة البدرية في الدولة النصرية بيروت ١٩٧٨م ص ٢٥-٢٦.

(٦) وقد بسط الأسباب التي أحاطت بهذا الاختيار الأمير الزيري عبدالله في كتابه: (التبيان الذي نشره ليفي بروفنسال تحت اسم: مذكرات الأمير عبدالله نشر دار المعارف بمصر ١٩٥٥م، ص ٢٠-٢٢.

(٧) ورد هذا الاتهام الصريح من قبل قاضيين أحدهما ابن سهل صاحب الطبقات الكبرى، أما الأخر فهو القاضي القليعي. انظر بالإضافة إلى مذكرات الأمير عبدالله، أبوالحسن بن عبدالله النباهي: المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا بيروت؟ ص٩٧.

(٨) كتب الكثير من الكتب والدراسات حول هذا القصر وبأهم اللغات الحية الخاصة الأوربية منها، لكونه معلما حضاريا متميزا، ولما يمثله من فن معماري فريد.

(٩) مازالت تلك التلة التي أقيم فيها منتزه تحمل اسم «زفرة العربي».

(١٠) أفردنا لهذا الموضوع حيزا لا بأس به في بحثنا المنشور في سجل ندوة اتحاد المؤرخين العرب التي انعقدت في شهر رجب سنة ١٤١٦هـ، وتناولته أقلام عديدة عربية وأجنبية.

(١١) توقف عند هذا المخطط عدد من الباحثين، منهم: GOMEZ MORENO: Guia de Granada., E. SECO DE LUCENA: Plano de Granada Arabe. ؛ محمد عبدالله عنان: الآثار الأندلسية الباقية، القاهرة ١٩٦١م ص ٦٠-٢١٤، إسماعيل العربي: عواصم بني زيري بيروت ١٩٨٤م ص ٨٥-٩٩؛ محمد الحماد: «التخطيط العمراني لمدن الأندلس» بحث ألقي في ندوة الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات، التي أقيمت في الرياض من ١٥ إلى ١٩ جمادى الأولى ١٤١٤هـ

وهو قيد النشر.

(١٢) انظر محمد بن عبدالمنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس بيروت ١٩٨٤م ص ٤٥.

(١٣) بروفنسال: أدب الأندلس وتاريخها ترجمة شعيرة القاهرة ١٩٥١م ص ٥٨.

(١٤) أطلق مسميات أخرى كحدرة لكني أثرت تسمية ابن الخطب: اللمحة البدرية ببروت ١٩٧٨م ص٢٣.

(١٥) وسمى بهذا الاسم (Albaicin) لأن أغلب سكانه من أولئك الذين نَزحوا من وطنهم ببياسة Baeza شرق الأندلس بعد أن أزاحهم النصارى عنه؛ ويعد من أهم أحياء المدينة وأكثرها احتفاظا بطابعه الأندلسي، أنظر: فون شاك: الفن المغربي في أسبانيا وصقليه ترجمة الطاهر أحمد مكي، القاهرة ١٩٨٥م ص١٤٠ عنان: الآثار ص ١٦٧ ـ ١٧٠.

(١٦) انظر في هذا الصدد: عبدالعزيز اللميلم: رسالة المسجد في الإسلام بيروت ١٩٩٣م، زيد الزيد؛ «وظيفة المسجد في المجتمع» مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد ١١ محرم ١٤١٥هـ ص ١٩ ـ ٨٧؛ علي عبدالحليم محمود: المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي القاهرة ١٩٩١م).

(١٧) أسس هذا المسجد موسى بن نصير القائد العام لفتح الأندلس عندما وصل الجزيرة الخضراء» أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق القاهرة ص٥٤٠؛ محمد عبدالحميد عيسى: الفتح الإسلامي للأندلس القاهرة ١٩٨٥م ص ١٣٢.

(١٨) الإدريسي: المصدر نفسه.

(١٩) الآية (٥٦*) من سورة البقرة.

(٢٠) الزيد: «وظيفة المسجد» ص٢٠.

(٢١) أحمد بن محمد المقري: نفح الطيب تحقيق إحسان عباس بيروت ١٩٦٨م ج١ ص ٥٤٥ ـ ٥٤٦. ؛ السيد عبدالعزيز سالم: المساجد والقصور في الأندلس في القرن الرابع الإسكندرية ١٩٨٦م ص ١١ ـ ١٢.

(٢٢) وقد أكد هذه الحقيقة ابن حوقل الذي زار الأندلس في القرن الرابع، أنظر: صورة الأرض ص١١١.

(٢٣) انظر: الحميري: الروض المعطار ص٤٥٨ أحمد فكري؛ قرطبة في العصر الإسلامي الإسكندرية ١٩٨٣م ص ١٨٦.

(٢٤) حسين مؤنس: المساجد (سلسلة عالم المعرفة ٣٧) الكويت ١٩٨١م ص ١٠٥.

(٢٥) يتضح ذلك بشكل جلي في المرحلة الأخيرة من تاريخ غرناطة الإسلامي وبعيد سقوطها، وقد حاولنا رسم صورة تقريبية لهذا الواقع في البحث المشار إليه سابقا.

(٢٦) توريس بلباس: «الأبنية الأسبانية الإسلامية» مجلة المعهد المصري عدد ١ مدريد (١٩٥٣) ص١٠١.

(٢٧) التبيان ص ١٨.

(٢٨) وهي ظروف الصراع على السيادة والنفوذ بين القوميات والطوائف، التي برزت في هذه الفترة.

(٢٩) اللمحة ص٢٣.

(٣٠) انظر عنان: الآثار ص ١٦٨-١٦٩.

(٣١) وإن تردد بين الأحبار والرهبان ما يفيد بأن أصل بعض المساجد في غرناطة كان كنيسة أوديرا للرهبان خاصة صومعة الجامع الأعظم، وهو كلام لم نجد له سندا ولم يؤيده أي من الباحثين المنصفين، انظر مثل هذا الزعم في رحلة أحمد بن قاسم الشهاب الحجري (أفوقاي): ناصر الدين على القوم الكافرين، مختصر (رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب) تحقيق محمد رزق الدار البيضاء ١٩٨٧م ص٢٣.

(٣٢) قصة الحضارة ترجمة محمد بدران القاهرة ١٩٧٤م ج١٤ ص ٣١٧.

(٣٣) قون شاك: الفن ص ٢٢، وليس هو الوحيد في هذا الرأي فهناك آخرون يقولون بذلك.

(٣٤) ابن حوقل: صورة ص ١١١؛ محمد عبدالحميد عيسى: تاريخ التعليم في الأندلس القاهرة ١٩٨٢م ص ٢٧٦-٢٧٧.

(٣٥) توريس بالباس: الفن الرابطي والموحدي ترجمة سيد غازي القاهرة ١٩٧١م ص١٥.

(٣٦) مانويل حوميث مورينو: الفن الإسلامي في إسبانيا ترجمة لطفي عبدالبديع والسيد سالم القاهرة؟ ص٣٠٣.

(٣٧) سنناقش هذه النقطة في بحثنا القادم - إن شاء الله - عند الحديث عن كل من هذين المسجدين.

(٣٨) المقدمة بيروت ١٩٨١م ص ٧٢٤-٧٣٠.

(٣٩) عبدالعزيز سالم: المساجد ص ١٥-١٦.

(٤٠) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة تحقيق عنان القاهرة ١٩٧٥م ج٣ ص٥٢٤.

(٤١) مورينو: الفن ص ٣٠٣.

(٤٢) L. Torres Balbas, "La Mazquita mayor de Granada" al Andalus (1945), P. 429.

(٤٣) بالباس: الفن ص ١٩.

(٤٤) انظر في هذا المجال البحث الذي قدمه محمد الكحلاوي في ندوة الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات المقامة في الرياض ١٤١٤هـ بعنوان: «عرفاء البناء في المغرب والأندلس» (وهو تحت النشر)، إلا أنه لم يتطرق لأي من عرفاء البناء في غرناطة.

(٤٥) الإحاطة ٣/ ٥٢٤.

(٤٦) ابن الخطيب: نفسه ٤/ ٨٢؛

Ridha Hadi Abbas, Toponimos espanoles relacionados con elcadiazgo. (inedito). Granada 1988. pp. 18-25.

(٤٧) محمد الحداد: «التخطيط غير التقليدي للمساجد في الأندلس» ندوة الأندلس التي أقيمت في الإسكندرية في الفترة من ٢-٤/ ١١/ ١٤١٤هـ ص٢-٣.

(٤٨) "el Alminar de la Iglesia de San Jose.." al Andalus V1,p. 203.

وانظر: الطاهر أحمد مكي: دراسات أندلسية القاهرة ١٩٨٠م ص ٧٣.

(٤٩) شكيب أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية بيروت؟ ج١ ص ٣٠٧.

(٥٠) هذا الموضوع تناوله عدد من الفقهاء بالبسط والتحليل انظر مثلا: محمد بن عبدالله الزركشي: إعلام المساجد بأحكام المساجد القاهرة ١٤٠٣هـ ص ٣٣٥-٣٣٧؛ القاسمي: جمع الفوائد إختصار إصلاح المساجد تحقيق الطرهوني الدمام ١٩٨٧م ص٥٧.

(٥١) السيد عبدالعزيز سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس. الإسكندرية ١٩٨٥م. ص ١٤١، Munzwr, Viaje, p. 42.

(٥٢) أرسلان: الحلل ١/٣٠٧.

(٥٣) السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس. القاهرة (ط. ٢) ١٩٨٦م ص ٣٩٩.

(٥٤) توريس بالباس: «الأبنية...» ص١٠٥.

(٥٥) هي منارة مسجد أشبيلية الجامع الذي بناه الخليفة الموحدي يوسف بن عبدالمؤمن بن علي في رمضان من سنة ٥٦٧هـ (مايو سنة ١١٧٢م) أنظر: عنان الآثار... ٤٦-٤٧، ٥١.

(٥٦) Torres Balbas “alminar...” pp. 429-430.

(٥٧) بالباس: «الأبنية...» ص١٠٢.

(٥٨) انظر على سبيل المثال مؤنس: المساجد ص ص ٦٩-٩٤. عفيف البهنسي: العمارة عبر التاريخ دمشق ١٩٨٧م ص ١٨٦-١٨٧، أبوصالح الألفي: الفن الإسلامي بيروت (ط. ٢) ص ص ٢١٤-٢١٥؛ فريد محمود شافعي: العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها الرياض ١٩٨٢م ص ص ١٥١-٢٠٨ك. كريزوبل: الآثار الإسلامية الأولى ترجمة: عبدالهادي عبلة، دمشق ١٩٨٤م ص ص ٣٠٢-٣٠٣؛ زكي محمد حسن: فنون الإسلام دار الفكر العربي؟ ص ص ٢٢-٢٥؛ خليل إبراهيم المعيقل: «أثر الجامع الأموي بدمشق على عمارة المسجد الجامع بقرطبة» بحث ألقي في ندوة الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات الرياض ١٥-١٩ جمادى الأولى ١٤١٤هـ ص ص ٢-٣.

(٥٩) الزركشي: إعلام المساجد ص ٣٤٦؛ مؤنس: المساجد ص ٦٩-٧٠.

(٦٠) انظر: الونشريسي (أحمد بن يحيي): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب بيروت ١٩٩٠م ج١١ ص ٩٧.

(٦١) المساجد ص ٨٩، ٩٠-٩١.

(٦٢) دار خلاف طويل حول هذه القضية بسطه البعض، انظر مثلا: الزركشي: إعلام ص ٣٤١-٣٤٣، لكن الذين أخذوا بمذهب الأوزاعي وتجوزوا غرسها في صحن جامع قرطبة، وفتحوا الطريق لمن أتى بهم على الرغم من كراهية المالكية لذلك.

(٦٣) مؤنس: المساجد ص٩٠.

(٦٤) بالباس: «الأبنية...» ص ١٠٣.

(٦٥) عيسى: تاريخ التعليم ص ص ٢٧٤-٢٧٦.

(٦٦) انظر : بروفنسال : أدب الأندلس ص ١٦٥ عنان : نهاية الأندلس ص ٧٠ .

(٦٧) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار الجزء الذي حققه مصطفى أبو ضيف الدار البيضاء ١٩٨٨م ص ١٥٨ .

(٦٨) اللمحة ص٢٥ .

(٦٩) Viaje. p. 41.

(٧٠) يوسف شكري فرحات : غرناطة في ظل بني الأحمر بيروت ١٩٨٢م ص ٢١٠ .

(٧١) نلحظ ذلك في إطلاق هذه التسمية ـ أحيانا ـ عند ذكر مساجد صغيرة من المؤكد أنها قد أعدت للصلاة الراتبة دون الجمع .

(٧٢) انظر : محمد عبدالوهاب خلاف : قرطبة الإسلامية في القرن الخامس الهجري ، تونس ١٩٨٤م ص٤٢ ؛ الحماد : «التخطيط . . . » ص١١ .

(٧٣) الونشريسي : المعيار ١/ ٢٣٦ .

(٧٤) نجد ذلك واضحا في قرار تعيين موسى بن حماد من قبل الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين قاضيا وخطيبا في غرناطة سنة ٥٢٤هـ، إذ صدر المرسوم مطلقا دون تحديد لجامع معين مثلما هو الحال في عهد بني نصر ، مما يعني أن الأعظم هو الوحيد في المدينة انظر : أبوالحسن بن عبالله النباهي : المرقبة العليا ص٩٨ .

(٧٥) اللمحة ص٢٥ .

(٧٦) Viaje. p. 42.

(٧٧) اللمحة ص ٣٩.

(٧٨) نفسه ص ٣٨.

(٧٩) Viaje. p. 51.

(٨٠) المقري : نفح ٥/ ١١ .

(٨١) الونشريسي : المعيار ١١/ ٩٧ .

(٨٢) مؤنس : المساجد ص ١٢٤ .

(٨٣) الونشريسي : المعيار ١١/ ٩٧ .

(٨٤) المقري : نفح ٥/ ١٦٦ .

(٨٥) مؤنس : المساجد ص ص ٩٠ ، ٩٧ ؛ توريس بالباس : «الأبنية . . . » ص١٠٣ ـ ١٠٤ . وقد كان ذلك مثار خلاف ونقاش بين الفقهاء ، ودارت هذه في الأندلس نفسها بين فقهاء المالكية ، لكن يبدو أن أنصار الغرس تمكنوا من إقناع الآخرين للأسباب التي أشرنا إليها . انظر الزركشي : إعلام ص٣٤١.

(٨٦) الونشريسي : المعيار ٧/ ٩٧ .

(٨٧) انظر في هذا المجال : جاسم العبودي : «ناظر الأحباس في المغرب والأندلس في القرنين الثامن والتاسع الهجريين حسب المعيار المغرب للونشريسي» بحث ألقي في ندوة الأندلس قرون من

التقلبات والعطاءات الرياض ١٥ ـ ١٩ جمادى الأولى ١٤١٤هـ وبحثه الآخر: معلومات هامة عن الأحباس حسب الجزء السابع من المعيار المعرب للونشريسي (لم ينشر): M. Villanueva Rico:
Casas, mezqitas, y tiendas de los habices de las iglesias de Granda, Madrid 1966:

Habices de las Mazquitas de la ciudad de

Granada y sus alquerias, Madrid 1961.

P. srco De Lucean, Document Arabigo-Granadinos, Madrid 1961.

والترجمة العربية لهذه الوثائق: وثائق عربية غرناطية من القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي مدريد ١٩٦١.

(٨٨) من هذه الأوقاف مثلا: الأفران وأشجار الزيتون والبيوت وكذلك منشار خشب مكان لرمي الأزبال وغيرها.

(٨٩) الجزء السابع، وقد حصرها العبودي في بحثه المذكور انفا: معلومات هامة .. ص ص ٣ـ٦.

(٩٠) انظر الونشريسي: المعيار ٧/ ١٥١، العبودي: «ناظر..» ص٥.

(٩١) محمود حسين الحريري: أحكام المساجد في الإسلام الرياض ١٩٩٠م ص ٢٣١.

(٩٢) الونشريسي: المعيار ٧/ ١٤٨.

(٩٣) نفسه: ٧/ ١٣٩ـ ١٤٠، ١٨٤.

(٩٤) مسالك الأبصار ص ١٥٦.

(٩٥) مجهول: أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر، تحقيق مؤنس القاهرة ١٩٩١م، ص ص ٨٧ـ ٧٨؛ المقري: نفح ٤/ ٥١١.

(٩٦) لاحظت ذلك أثناء إقامتي بها لمدة سنوات الدراسة.

(٩٧) Cristina Vines, Granada en los libros de . viaje, Granada. 1982, p. (18)

(٩٨) Balbas, “La Mezquita... “ P. 424.

(٩٩) ابن الخطيب: اللمحة ص ص ٤٧ـ٤٨.

(١٠٠) الإحاطة ٣/ ٢٥، والشخص المذكور هو محمد بن أحمد اللخمي وكان ذلك قبيل سنة ٧٣٠هـ

(١٠١) ابن الخطيب: الإحاطة ١/ ٣٨٧؛ اللمحة ص٨٣؛ وقد حدث ذلك في الثورة الشعبية التي اشتعلت في ربض البيازين سنة ٧١٣هـ.

(١٠٢) المصدر نفسه ص ص ١١٠ـ ١١١.

(١٠٣) إذ يشير إلى معارضة مفتي غرناطة له (ابن القلبعي)، حدا دفع به إلى الالتجاء بالمرابطين ودفعهم إلى مهاجمة غرناطة والإحاطة بابن زيري، ولا شك أن شخصا بهذا المركز قد استخدم المنبر كوسيلة لهذه المعارضة. انظر: التبيان ص ص ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٦.

(١٠٤) عيسى: تاريخ ص ٢٢٦، الزيد: «وظيفة المسجد...» ص ص ٣٦ـ٤٧.

(١٠٥) سعد عبدالله البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف بالأندلس الرياض ١٩٩٣م ص٢٢١.

(١٠٦) أخبار الفقهاء والمحدثين تحقيق: ماربا لويسا أبيلاولوس مولينا مدريد ١٩٩٢م ص ص ١٤ - ١٥، ٢٦.

(١٠٧) أبوالقاسم خلف بن عبدالملك بن بشكوال الصلة القاهرة ١٩٦٦م ترجمة (٣١٥).

(١٠٨) نفسه ترجمة (٨٨٧).

(١٠٩) ابن الخطيب : الإحاطة ٣/ ٤٦٣.

(١١٠) محمد بن عبدالله الأبار: المعجم في أصحاب الإمام أبي علي الصدفي القاهرة ١٩٦٧م ص ١٦٢.

(١١١) أحمد بن محمد المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض تحقيق: عبدالسلام الهراس وسعيد أعراب ج٢ ص ٣٥٥.

(١١٢) ابن الخطيب : الإطاحة ٣/ ١٣٧.

(١١٣) نفسه ٢/ ١٧٦ - ١٨٧؛ النباهي : المرقبة ص ١٤١؛ وهو أحد شيوخ ابن الخطيب.

(١١٤) ابن الخطيب : الإحاطة ٤/ ١٠٤.

(١١٥) نفسه ٣/ ٢٠٠.

(١١٦) المقري: نفح ٧/ ١٦٨؛ أحمد سليم الحمصي: ابن زمرك الغرناطي بيروت ١٩٨٥م ص٩٦.

(١١٧) وهو ما يستشف من ترجمة ابن الخطيب لمحمد الخولاني: «وترقى. . . إلى التي لا فوقها من تعليم ولد السلطان، والرياسة القرآنية بباب الإمارة» الإحاطة ٣/ ١٦٨.

(١١٨) انظر الجدل الذي دار حول هذا الموضوع في كتب النوازل مثلاً: (الونشريسي المعيار ١/ ١٢٠ - ١٢٦).

(١١٩) الونشسريسي : المعيار ١/ ١٢١.

(١٢٠) نفسه !/ ١١٨؛ المقري: نفح ١/ ٥٦٢.

(١٢١) الفن الإسلامي ص ١١.

(١٢٢) هو أحد قضاة غرناطة وأدبائها المشهورين في فترتها المتأخرة. انظر: المقري: أزهار ٣/ ٣٢٣، ١/ ١٤٥.

(١٢٣) ١/ ١١٧-١٢٦.

(١٢٤) انظر: آنخل جثالث بالتنيا: تاريخ الفكر الأندلسي ترجمة حسين مؤنس القاهرة ١٩٥٥م ص ص ٤٤٧، ٤٥٧-٤٥٨.

(١٢٥) ابن الخطيب: الإحاطة ١/ ٢١١ وقد توفي سنة ٧٠٩ هظ كما يذكر ابن الخطيب في الرواية نفسها.

(١٢٦) نفسه ١/ ٤٧٦، وكانت وفاته حسب هذه الترجمة سنة ٧١٦هـ.

(١٢٧) Munzer, Viaje. pp. 42, 51

(١٢٨) المعيار !/ ٢٧٥.

(١٢٩) نفسه ١٧/ ٤١-٤٢، وقد توقف عند هذه النقطة بالشرح والتفصيل الحريري في أحكام

المساجد ص ص ٢٣٣ - ٢٣٥ .

(١٣٠) انظر الجزء السابع وبحث العبودي : معلومات هامة .

(١٣١) علي عبدالحليم محمود: المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي القاهرة ١٩٩١م ص ٢٢٢ - ٢٣٣ .

(١٣٢) لو استعرضنا كتب النوازل خاصة المعيار المعرب للونشريسي لظفرنا بمادة جمة حول هذا الموضوع، انظر مثلا الصفحات: ١٢٢، ١٣٤، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠ .

(١٣٣) انظر : ابن الخطيب: الإحاطة ١ ,٣٧، ٣/ ١٦٨؛ النباهي: المرقبة ص ص ٢١، ٩٧-٩٨؛ المقري: أزهار الرياض ٢/ ٣٥٥.

(١٣٤) الإحاطة ١/ ١٧١ .

(١٣٥) النباهي : المرقبة ص ص ٩٧-٩٨ .

(١٣٦) ابن الخطيب : الإحاطة ٤/ ١٠٠ .

(١٣٧) النباهي : المرقبة ص٢١ .

(١٣٨) نفسه ص ١١٠ .

(١٣٩) انظر : ابن الأبار: المعجم ص ١٦٢؛ ابن بشكوال؛ الصلة ت (٨٨٧)؛ ابن الخطيب: الإحاطة ٣/ ١٣٧ .

(١٤٠) ابن الخطيب : الإحاطة ٣/ ١٦٨ .

(١٤١) نفسه ٤/ ١٠٠ .

(١٤٢) انظر في هذا الصدد بالإضافة إلى كتب الأوقاف المختلفة الونشريسي المعيار ٧/ ١٣٤، ١٣٩-١٤٠، ١٢٢ .

(١٤٣) نفسه ٧/ ١٤٠ .

# قائمة المصادر والمراجع

## أولا المصادر والمراجع العربية والمعربة :

- **ابن الأبار :** محمد بن عَبدالله القضاعي البلنسي المتوفى ٦٥٨ هـ/ ١٢٤٩م.
  **المعجم في أصحاب الإمام أبي على الصدفي القاهرة.**
- **الإدريسي :** أبو عبدالله محمد الإدريسي المتوفى ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م.
  **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق القاهرة؟.**
- **أرسلان :** شكيب.
  **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية بيروت ج؟ ج١.**
- **الألفي :** أبو صالح.
  **الفن الإسلامي بيروت (ط ٢).**
- **بالنثيا :** أنخل جنثالث.
  **تاريخ الفكر الأندلسي ترجمة حسين مؤنث القاهرة ١٩٥٥م.**
- **بروفنسال :** ليفي
  **أدب الأندلس وتاريخها، ترجمة : شعيرة والعبادي، القاهرة ١٩٥١م.**
- **البشري :** سعد عبدالله.
  **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف بالأندلس الرياض ١٩٩٣م.**
- **البهنسي :** عفيف.
  **العمارة عبر التاريخ دمشق ١٩٨٧م.**
- **ابن بشكوال :** أبوالقاسم خلف بن عبدالملك المتوفى ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م
  **الصلة القاهرة ١٩٦٦م.**
- **بالباس :** ليوبولدو توريس.
  **«الأبنية الإسبانية الإسلامية» مجلة المعهد المصري عدد ١ مدريد (١٩٥٣) ص ص ٩٧ - ١٢٨.**
  **الفن المرابطي والموحدي ترجمة سيد غازي القاهرة ١٩٧١م.**
- **(أفوقاي) :** أحمد بن قاسم الشهاب الحجري :
  **ناصر الدين على القوم الكافرين، مختصر (رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب) تحقيق محمد رزوق الدار البيضاء ١٩٨٧م.**

- **الحداد** : محمد.
**«التخطيط غير التقليدي للمساجد في الأندلس» ندوة الأندلس التي أقيمت في الإسكندرية في الفترة من ٢ - ٤/ ١١/ ١٤١٤هـ.**
- **الحريري** : محمود حسين.
**أحكام المساجد في الإسلام الرياض ١٩٩٠م.**
- **حسن**: زكي محمد
**فنون الإسلام دار الفكر العربي؟**
- **الحماد** : محمد.
**«التخطيط العمراني لمدن الأندلس» بحث ألقي في ندوة: الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات، التي أقيمت في الرياض من ١٥ إلى ١٩ جمادى الأولى ١٤١٤هـ وهو قيد النشر.**
- **الحمصي** : أحمد سليم.
**ابن زمرك الغرناطي بيروت ١٩٨٥م.**
- **الحميري**: محمد بن عبدالمنعم. المتوفى ٧١٠هـ/ ١٢١٠م.
**الروض المعطار في خير الأقطار، تحقيق إحسان عباس بيرون ١٩٨٤م.**
- **ابن حوقل**: أبوالقاسم محمد بن علي المتوفى ٣٢٢هـ/ ١٩٣٤م.
**صورة الأرض بيروت ١٩٧٩م.**
- **الخشني**: أبوعبدالله محمد بن حارث.
**أخبار الفقهاء والمحدثين تحقيق: ماريا لويسا أبيلاولويس مولينا مدريد ١٩٩٢م.**
- **ابن الخطيب**: محمد بن عبدالله لسان الدين. المتوفى ٧٧٦هـ/ ١٣٧٣م.
**الإحاطة في أخبار غرناطة تحقيق عنان القاهرة ١٩٧٥م.**
**اللمحة البدرية في الدولة النصرية بيروت ١٩٧٨م.**
- **خلاف**: محمد بن عبدالوهاب.
**قرطبة الإسلامية في القرن الخامس الهجري، تونس ١٩٨٤م.**
- **بن خلدون**: عبدالرحمن. المتوفى ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م.
**المقدمة بيروت ١٩٨١م.**
- **ديورانت**: ول.
**قصة الحضارة ترجمة محمد بديران القاهرة ١٩٧٤م ج١٤ .**

- **الزركشي :** محمد بن عبدالله .
**إعلام الساجد بأحكام المساجد القاهرة ١٤٠٣هـ.**
- **الزيد :** زيد .
**«وظيفة المسجد في المجتمع» مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد ١١ محرم ١٤١٥هـ ص ١٩ - ٨٧.**
- **بن زيري :** عبدالله .
**التبيان الذي نشره ليفي بروفنسال تحت اسم : مذكرات الأمير عبدالله نشر دار المعارف بمصر ١٩٥٥م.**
- **سالم :** السيد عبدالعزيز .
**تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس . القاهرة (ط. ٢) ١٩٨٦م .**
**في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس ، الإسكندرية ١٩٨٥م .**
**المساجد والقصور في الأندلس الإسكندرية ١٩٨٦م .**
- **شافعي :** فريد محمود .
**العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها الرياض ١٩٨٢م .**
- **شاك :** فون .
**الفن العربي في اسبانيا وصقلية ، ترجمة الظاهر أحمد مكي ، القاهرة ١٩٨٥م .**
- **العبودي :** جاسم .
**«ناظر الأحباس في المغرب والأندلس في القرنين الثامن والتاسع الهجريين حسب المعيار المغرب للونشريسي» بحث ألقي في ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات الرياض ١٥ - ١٩ جمادى الأولى ١٤١٤هـ (تحت النشر) .**
**معلومات هامة عن الأحباس حسب الجزء السابع من المعيار المعرب للونشريسي (لم ينشر) .**
- **العربي :** أسماعيل .
**عواصم بني زيري بيروت ١٩٨٤م .**
- **العمري :** أحمد بن يحيى بن فضل الله
**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار الجزء الذي حققه مصطفى أبوضيف الدار البيضاء ١٩٨٨م.**
- **عنان :** محمد عبدالله .
**الآثار الأندلسية الباقية ، القاهرة ١٩٦١م .**

نهاية الأندلس القاهرة ١٩٨٧م.

- عيسى : محمد عبدالحميد.

تاريخ التعليم في الأندلس القاهرة ١٩٨٢م.

الفتح الإسلامي للأندلس القاهرة ١٩٨٥م.

- فرحات: يوسف شكري.

غرناطة في ظل بني الأحمر بيروت ١٩٨٢م.

- فكري : أحمد.

قرطبة في العصر الإسلامي الإسكندرية ١٩٨٣م.

- القاسمي: جمال الدين.

جمع الفوائد اختصار إصلاح المساجد تحقيق الطرهوني الدمام ١٩٨٧م.

- الكحلاوي : محمد.

«عرفاء البناء في المغرب والأندلس» في ندوة الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات المقامة في الرياض سنة ١٤١٤هـ (وهو تحت النشر الآن).

- كريزويل : ك.

الآثار الإسلامية الأولى ترجمة: عبدالهادي عبلة، دمشق ١٩٨٤م.

- اللميلم : عبدالعزيز.

رسالة المسجد في الإسلام بيروت ١٩٩٣م.

- مؤنس : حسين.

المساجد (سلسلة عالم المعرفة ٣٧) الكويت ١٩٨١م.

- مجهـــول:

أخبار مجموعة من فتح الأندلس. . . بيروت ١٩٨١م.

- مجهـــول:

أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر، تحقيق مؤنس القاهرة ١٩٩١م.

- محمود : علي عبدالحليم.

المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي القاهرة ١٩٩١م.

- المعيقل: خليل إبراهيم.

«أثر الجامع الأموي بدمشق على عمارة المسجد الجامع بقرطبة» بحث ألقي في ندوة الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات الرياض ١٥ - ١٩ جمادى الأولى ١٤١٤هـ،

(تحت النشر).
- **المقري** : أحمد بن محمد. المتوفى ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م.
**أزهار الرياض في أخبار عياض تحقيق: عبدالسلام الهراس وسعيد أعراب ج٢.**
**نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب تحقيق إحسان عباس بيروت ١٩٦٨م.**
- **مكي** : الطاهر أحمد.
**دراسات أندلسية القاهرة ١٩٨٠م.**
- **مورينو**: مانويل جوميث.
**الفن الإسلامي في إسبانيا ترجمة لطفي عبدالبديع والسيد سالم القاهرة؟.**
- **النباهي**: أبو الحسن بن عبدالله. المتوفى ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م.
**المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا بيروت؟**
- **الونشريسي**: أحمد بن يحي . المتوفى ٩١٤ هـ/ ١٥٠٨م.
**المعيار المعرب والجامع المقرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب بيروت ١٩٩٠م.**

## ثانيا - الأجنبية

AVVAS. RIDHA HADI Toponimos espan. oles rdlacionados con el cadiazgo. (Inedito). Granada 1988. - L. TORRES (La Mezquita mayor de Granada) al Andalus x (1945) PP. 409 - 432.

(el Alminar de la lglesia de San Jose... )al Andalus VI (1941).PP. 427 - 446.

-RICO, M. VILANUEVA Casas, mezqitas, Y tiendas de los habices de las lglesias de Granada, Madrid 1966: Habices de las mezquitas de la ciudad de Granada Y sus alquerias, Madrid 1961.

LUCENA - P. SECO DE Documentos Arabigo - Granadino,

**وقد ترجمت إلى العربية تحت مسمى: وثائق عربية غرناطية من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي مدريد ١٩٦١م.**

Lucena, e. seco de PLANO DE GRANADA ARABE, MORVEL GOMER GRANADA 1910.

MORENO: Guia de Granada, Granada, 1892.

MUNZER - J. Viaje por Espanay Portugal, granada 1987.

VIN'ES CRISTINA Granada en los libros de viaje, Granada. 1982.